الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــم العـــالي والبـحث العـــلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركـز الجـــامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلـــة

معهد الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

المرجع : .....

جماليات التقديم والتأخير البلاغية في القرآن الكريم
-سورة الأعراف أنموذجا-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبتين:
- بوشوشة رانيا
- ساحلي إيمان

إشراف الدكتور:
عبد الباقي مهناوي

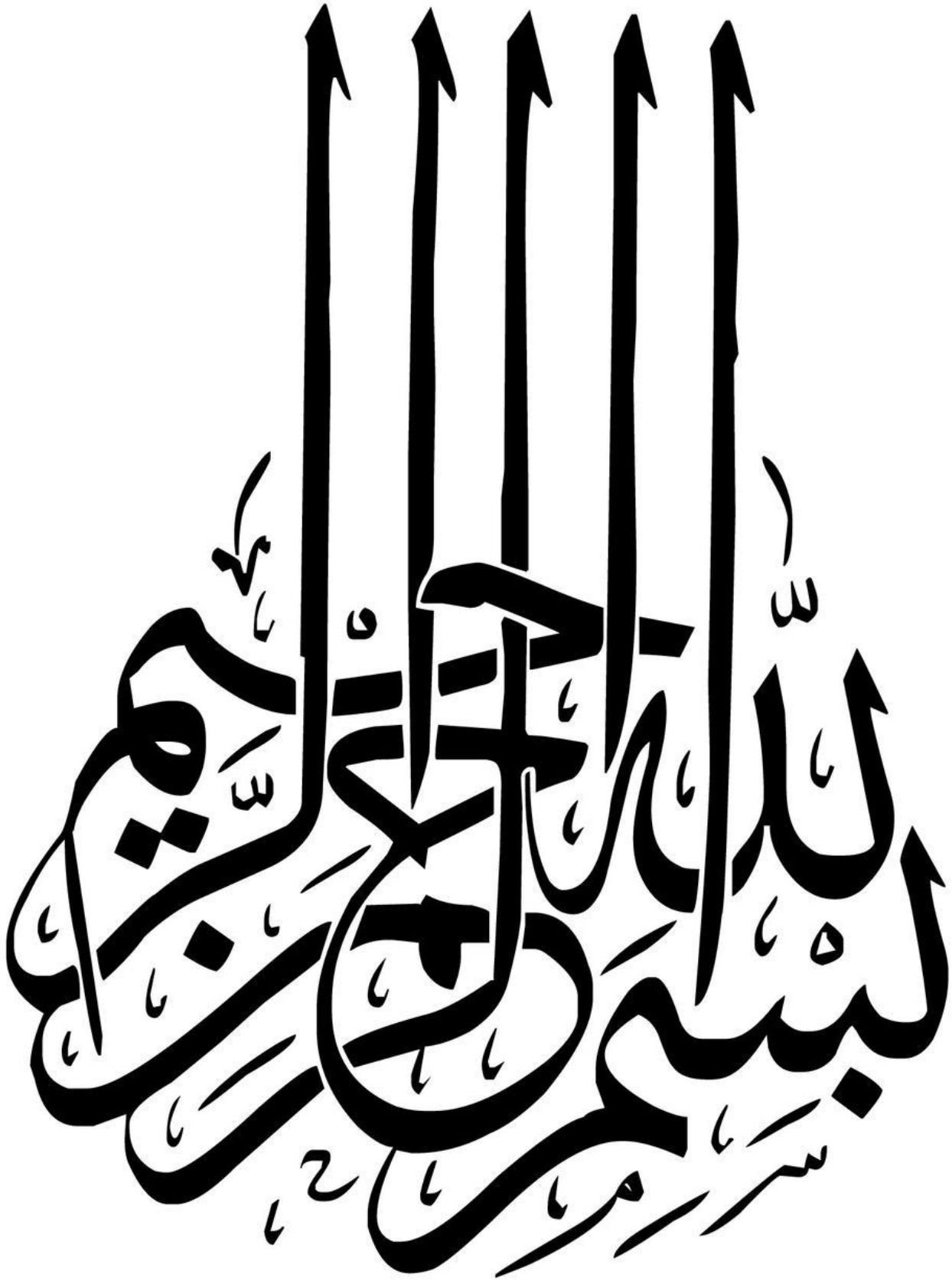
بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

اللهم إني اسألك فهم النبيين وحفظ المرسلين والملائكة المقربين اللهم اجعل ألسنتنا عامرة بذكرك وقلوبنا بخشيتك، وأسرارنا بطاعتك، إنك على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل اللهم إني استودعك ما قرأت وما حفظت وما تعلمت، فرده لي عند حاجتي إليه إنك على كل شيء قدير، وحسبنا الله ونعم الوكيل اللهم إني توكلت عليك، وسلمت امري إليك، لا ملجأ ولا منجي منك الا إليك ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيرا.

شكر وعرفان

نتقدم بجزيل الشكر، وعظيم الامتنان والتقدير إلى الأستاذ الفاضل

"مهناوي عبد الباقي"

لتفضله بالإشراف على إنجاز هذا البحث وإخراجه إلى حيز الوجود

بعد ما كان مجرد فكرة، فجزاه الله عنّا خير الجزاء، وجعله الله نبراس علم تستضيء به الأجيال..

كما نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى لجنة المناقشة لملاحظاتهم القيمة وتصويباتهم الدقيقة، لكي يجعلوا عملنا هذا متكاملا بإذن الله.

وأخيرا لا نملك إلاّ الدعاء وحسن التقدير لكل من مّد لنا يد العون، وساعدنا في إنجاز هذا البحث فجزاهم الله عنا خير الجزاء

الاهداء

الى كل من كان ينتظر إتمام هذا البحث ليباركه ويفتخر بصغيرته لكن شاء القدر عكس ذلك لروحي ابي الراحلة من دنيانا الباقية في قلبي الخالد في عالمي الى العشق المقدس رحمة الله عليك ابي الحبيب **"محمد"**

الى من ارضعتني الحنان والبستني ثوب الأمان الى من مسحت دموعي وسهرت الليالي الى اول كلمة نطق بها لساني الى من كانت الدراسة والنجاح فخر واعتزاز لها الى الصدر الحنون امي الغالية **"زينب"**

الى أحب الناس الى قلبي وأغلاهم على نفسي اخوتي:
فارس. بلال. يوسف. كريمة. سارة. يمان.

الى من كان سندي وشجعني طيلة الوقت زوجي **"حليم"**

الى رفيقاتي دربي وكل صديقاتي العزيزات اللواتي سكن قلبي
ايمان. ابتسام. هالة. صليحة. مايسة. أميرة. اسماء.

الى استاذنا المحترم الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته
"عبد الباقي مهناوي"

الى كل من ذكرهم قلبي ونسيهم قلمي اهديكم عصارة جهدي وافكاري

بوشوشة رانيا

الاهداء

الحمد لله والشكر له الذي وفقني في اتمام هذه المذكرة التي اهديها الى الذين قال فيهم المولى عز وجل وبالوالدين احسانا.

الى ابي الغالي سندي ومرشدي في الحياة الى الذي مد يده لي في كل الاوقات ابي العزيز **"عبد المجيد"**

الى التي قال في حقها صلوات الله عليه سلامه أمك ثم أمك ثم أمك امي العزيزة **"فاطمة الزهراء"**

الى الاخوة والاخوات الاعزاء:

ياسين. سمية. وليد. ميساء.

الى صديقاتي الحبيبات رفيقات الدرب والحياة الاخوات اللواتي ولدتهن لي الحياة:

رانيا. صليحة. هالة.

الى كل من هم في ذاكرتي ولم تسع مذكرتي لذكرهم. اهدي لكم هذا العمل الذي هو ثمرة جهدي ومشواري الجامعي. وفي الاخير لكم مني فائق الحب والتقدير والعرفان. والله الموفق والمستعان

ساحلي إيمان

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على سيد البلغاء وإمام الفصحاء سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تعد الجملة محورا أساسيا في الدراسات النحوية والبلاغية وذلك من خلال تبيين أسسها ومكوناتها، وتخضع هذه الأخيرة إلى قوانين وضوابط تحكمها وتسير عليها ومن بين هذه القوانين والضوابط "الترتيب" الذي تشكل أهمية كبرى في بناء الجملة ومن خلالها نحددّ نوعها والعناصر المكونة لها، ويطرأ في بعض الأحيان على الرتبة تغيرات وذلك بتقديم عنصر وتأخير عنصر آخر ويحدث هذا إذا كان السياق يقتضي ذلك أو قصد التفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب وهذا التغيير لا يكون اعتباطيا في نظم الكلام، وإنما يكون عملا مقصوداً يقتضيه غرض بلاغي، أو داع من دواعيها.

يعد باب التقديم والتأخير جزء كبير من أجزاء علمي النحو والمعاني ومن ذلك فالتقديم والتأخير يصيب الجملة العربية فتخالف ترتيبها الأصلي في السياق، فيتقدم ما الأصل فيه أن يتأخر ويتأخر ما الأصل فيه أن يتقدم، والحاكم للترتيب الأصلي بين عنصرين يختلف إذا كان لازما أو غير لازم فهو في الترتيب اللازم حكم صناعي نحوي أما في غير اللازم حكم صناعي بلاغي، ويكون ذلك لأسباب نحوية وأغراض وأبعاد دلالية.

وسنضطلع في هذه الدراسة التي عنوانها جماليات التقديم والتأخير البلاغية في القرآن الكريم –سورة الأعراف– أنموذجا، تناولنا في ظاهرة التقديم و التأخير البلاغي و الجمالي حيث اخترنا لها أنموذجا للتطبيق من القرآن الكريم، و هو سورة الأعراف ، برصد مواضع التقديم و التأخير في الجملة العربية كما حددها النحويون و الأغراض البلاغية و الجمالية التي وضعها البلاغيون و المفسرون.

و منه فإن موضوع بحثنا هذا يتطرق إلى ظاهرة التقديم و التأخير من وجهة بلاغية في تفسير ابن عاشور و الذي عنون ب"تفسير التحرير و التنوير".

وسبب اختيارنا لهذا الموضوع راجع إلى رغبتنا في معرفة ما يحدثه هذا الأسلوب – التقديم والتأخير– من تغيير في المعاني كونه يجسد أرضا خصبة لدراسة جانبي المبنى والمعنى في آن واحد، وإدراك مفهومه ومعرفة حالاته وأغراضه من خلال ما درسه النحويين والبلاغيين والمفسرين.

و كان لهذا البحث إشكالية هي:ما مفهوم التقديم و التأخير ؟ و كيف عالج النحويين و البلاغيين ظاهرة التقديم و التأخير؟ و ما أثره البلاغي و الجمالي في القرآن الكريم ؟

وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي وذلك لمناسبته طبيعة الموضوع في حين اقتضت الإشكالية المطروحة تقسيم البحث إلى مقدمة ومدخل وفصلين تتلوهما خاتمة متضمنة أهم النتائج المتوصل إليها.

ففي المدخل تطرقنا إلى نشأة النحو وتطوره عند القدماء، ونشأة وتطور البلاغة، الدلالة بين القدماء والمحدثين، بالإضافة إلى إعجاز القرآن الكريم من حيث الأسلوب والمفردة القرآنية.

أما الفصل الأول: فقد كان معنونا بالتقديم والتأخير عند النحويون والبلاغيون و يشتمل على :

المبحث الأول: التقديم و التأخير عند النحويون

1–تعريف التقديم و التأخير.

أ – لغة .

ب- اصطلاحا.

2-التقديم و التأخير عند سيبويه.

3-التقديم و التأخير عند أبي علي الفارسي.

المبحث الثاني : التقديم و التأخير عند البلاغيون.

1-التقديم و التأخير عند الجرجاني.

2-التقديم و التأخير عند السكاكي.

المبحث الثالث : نظرية النظم.

1-منابع فكرة النظم .

2-النظم عند الجرجاني .

و لقد تم في الفصل الثاني معالجة "التقديم والتأخير وأثره البلاغي والجمالي في القرآن الكريم –سورة الأعراف – أنموذجا" و تناولنا فيه :

1-الخطاب المكي و المدني .

2-التعريف بالسورة.

3-عدد الآيات .

4-تفسير بعض الآيات عند مجموعة من المفسرين.

5-حالات التقديم و التأخير و الأثر البلاغي و الجمالي الذي نتج عن هاته الظاهرة.

أما الخاتمة فشملت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال بحثنا، وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها:

- كتاب سيبويه "الكتاب".

- كتاب عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز".
- كتاب السكاكي "مفتاح العلوم".
- كتاب أبي علي الفارسي "الإيضاح العضدي".
- تفسير محمد الطاهر بن عاشور "التحرير والتنوير".
- تفسير أبي السعود "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم".
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل "للزمخشري".

ولا شك أنّ لكل بحث صعوبات يتلاقاها الباحث ومن بين الصعوبات التي واجهتنا في إعدادنا لهذا البحث، ضيق الوقت الكبير لاستيعاب هاته الظاهرة وما يتعلق بها، بالإضافة إلى الصعوبة التي واجهتنا في الجانب التطبيقي، وذلك لحساسية المدونة التي توجب شدة الحرص في تفسير كلام الله العزيز وتبيان أغراضه.

ومن الدراسات السابقة حول ظاهرة التقديم والتأخير نجد مذكرة بعنوان التقديم والتأخير دراسة نحوية بلاغية سورة البقرة نموذجا، لبوكليخة فاطمة، أطروحة ماستر، جامعة الدكتور مولاي الطاهر بسعيدة، 2018، ولدينا كذلك عدة كتب هنا من بينها كتاب عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز، ولقد تناولنا جوانب عديدة في دراسة التقديم والتأخير، وكذلك كتاب سيبويه المسمى "بالكتاب".

وفي الأخير نرجو من الله التوفيق حتى يصل هذا العمل إلى المستوى العلمي المطلوب فإن أصبنا فذلك مردانا وإن أخطأنا فلنا شرف المحاولة والتعلم كما نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذنا الفاضل "مهناوي عبد الباقي"، الذي شرّفنا بقبوله الإشراف على مذكرتنا، ونتمنى أن نفيد ونستفيد.

مدخل:

1- النحو عند القدماء (النشأة والتطور)

2- البلاغة (النشأة والتطور)

3- الدلالة (بين القدماء والمحدثين)

4- إعجاز القرآن الكريم

أ- الأسلوب

ب- المفردة القرآنية

1- النحو عند القدماء:

عند الحديث عن نشأة أصول النحو وتطوره لابد أن نعرج على نشأة النحو كعلم من علوم العربية لارتباط نشأة أصول النحو بالنحو نفسه من حيث نشأته وواضعه.

"من الحقائق الثابتة أنّ النحو لم يكن معروفا عند العرب قبل الإسلام، لأنّ العرب لم يكونوا بحاجة إليه لسلامة فطرتهم وجودة قرائحهم، خلافا لما ذهب إليه ابن فارس حيث ذكر أنّ النحو والعروض كانا معروفين عند العرب قبل الإسلام كعلمين ثمّ اندثروا ومضت عليهما الأيام ثمّ حددهما الإمامان أبي الأسود الدؤلي والخليل بن أحمد الفراهيدي"[1].

معنى هذا أنّ هناك خلاف بين النحاة رأي يقول بأنّ النحو كان متداولا ومعروفا وآخر يقول بأنّه غير معروف لأنهم ليسوا بحاجة إليه.

"إنّ نشأة النحو العربي بدأت بعد مجيء الإسلام في الصدر الأول منه، لأنّ علم النحو قانون تتطلبه الحوادث وتقتضيه الحاجات، ولم يكن قبل الإسلام ما يدعوا إلى وضع النحو، لأنّ العرب يتحدثون بسليقتهم التي جبلوا عليها"[2].

أي أنّ النحو في القديم لم تعتمده العرب في مجالاتهم ونشاطاتهم، لأنهم يتحدثون باللغة التي نشأت معهم، ولكن تلك القواعد والقوانين أصبحت مهمة فهي تقودهم إلى تلبية حاجاتهم وتسهيل الأمور عليهم.

"نشأ علم النحو في البصرة حيث تعد الحاضرة الأولى في العراق، وقد اشتهر أهل العراق بالاهتمام بعلوم العربية، يقول محمد بن سلام الجمحي: "وكان لأهل البصرة في العربية قدمة وبالنحو ولغات العربية عناية"[3].

---

[1] أحمد بن فارس الصاحبي، في فقه اللغة، تحقيق: أحمد صقر، دمشق: د.ط، ص13.

[2] عبد الله الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي، الإسكندرية دار المعرفة الجامعية، د.ط، ص15.

[3] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية، ط1، ج1، ص12.

"وقد ذهب كثير من الباحثين الى آراء متعددة في واضع النحو الأول وزمنه ومدى تأثره بغيره، حيث ذهب المستشرق الألماني بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي إلى إنكار أن يكون أبو الأسود الدؤلي هو من وضع النحو وعدّ ذلك من قبيل الاساطير، بل أنكر ما نسب إلى تلامذته أيضا، ويرى أنّ البداية الحقيقية لتاريخ النحو العربي من طبقة أساتذة الخليل وسيبويه"[1].

"وذهب أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام إلى ما ذهب إليه المستشرقين من التشكيك في واضع النحو الأول، حيث استقر الرأي عنده بأنّ عمل أبي الأسود الدؤلي إنما هو مقتصر على نقط المصحف، وأنّ البداية الحقيقية لوضع النحو في عصر إسحاق الحضرمي"[2].

"وذهب إبراهيم مصطفى إلى أنّ أبا الأسود الدؤلي لم يضع قاعدة نحوية واحدة وإنما وضع النقط التي تضبط أواخر الكلمات بحسب ما تقتضيه السليقة العربية، وأنّ أقدم كتاب في النحو كتاب سيبويه حيث لم يسند إلى أبي الأسود الدؤلي أي قاعدة نحوية"[3].

وذهب إلى ما ذهب إليه أحمد أمين بأنّ إسحاق هو أول من وضع النحو.

كما أنّ هناك أسباب رئيسية لوضع النحو نذكر منها:

1- "شيوع اللحن: إذ يعدّ اللحن من الأسباب الأولى لوضع النحو وتدوين اللغة وجمعها واستنباط القواعد وتصنيفها. وقد ظهر اللحن مبكرا ولكنّه خفيفا ونادرا، فقد روي أنّ رجلا لحن في حضرة النّبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: "أرشدوا أخاكم فإنّه قد ضلّ"[4].

---

[1] المستشرق الألماني بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، مصر دار المعارف، ص123-128.

[2] أحمد أمين، ضحى الإسلام، د.م، ط7، ج2، ص285.

[3] عبد الله خثران، مراحل تطور الدرس النحوي، ص44-45

[4] علي بن تقي الدين الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، طبعة وفسره غريبه الشيخ بكري حياتي، صححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوت السقا، حلب: مكتبة التراث الإسلامي، ط1، ج1، ص115.

2- "المحافظة على كتاب الله جل وعلا وسنّة نبيه محمد صلّى الله عليه وسلّم: حيث كثر اللحن والزلل في اللسان العربي نظرا لكثرة اختلاط العربي بغيره من الشعوب الأخرى في عصر صدر الإسلام، ممّا جعل الحاجة ملحّة إلى وضع علم النحو للحفاظ على كتاب الله جلّ وعلا من اللحن والدس والزلل، وقد نبّه على ذلك الزجاجي بقوله: فإن قيل فما الفائدة في تعلم النحو؟

"....فالجواب في ذلك يقال له: الفائدة فيه للوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صوابا غير مبدل ولا مغير، وتقويم كتاب الله عزّ وجلّ الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وإقامة معانيها على الحقيقة لأنّه لا يفهم معانيها على صحة إلا بتوفيتها حقوقها من الأعراب"[1].

"وقد حصر بعض الباحثين المحدثين السبب وراء وضع النحو هو المحافظة على كتاب الله جلّ وعلا و سنّة نبيه صلّى الله عليه وسلم، لأنّ العلوم الإسلامية كلها نشأت لخدمة القران الكريم، فلو كان المقصود هو محاربة اللحن لاقتصر علم النحو على وضع ضوابط الصحة والخطأ في كلام العرب، أمّا الفهم فإنّه يُقصد به البحث لمعرفة ما يؤديه النص القرآني من على وجه الخصوص باعتباره أعلى ما في العربية من بيان"[2].

3-الباعث السياسي: حيث أدت الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام بين البلدان إلى رغبة الولاة والعلماء في وضع النحو، ليتعلم غير العرب العربية وتتوسع رقعة البلدان العربية.

4- فساد الملكة اللغوية بالاختلاط: حيث أدّى اختلاط العرب بغيرهم إلى فساد سليقتهم اللغوية، حيث روي أنّ أبا الأسود الدؤلي جاء إلى زياد ابن ابيه، الذي كان واليا على البصرة والكوفة من قبل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فقال:" إنّي رأيت العرب

[1] أبي القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن مبارك د.م: دار النفائس، ص95.

[2] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص12.

قد خالطوا هذه الأعاجم وفسدت ألسنتها، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم"[1].

"ولقد اختلف كثيرٌ من الباحثين في تقسيم مراحل تطور علم النحو، فمنهم من قسّمه إلى أربع مراحل"[2] ومنهم إلى أقل من ذلك أو أكثر، ونذكر ثلاث مراحل منذ نشوئه وحتى اكتماله وتطوره:

المرحلة الأولى: "مرحلة الوضع والتأسيس: وهذه المرحلة رأس زعامتها أبو الأسود الدؤلي حيث تكاد تتفق جميع المصادر التاريخية على أنه واضع النحو، حيث يقول محمد بن سلام الجمحي وكان أول من أسس العربية، وفتح باباها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها أبا الأسود الدؤلي حين اضطرب كلام العرب....."[3]

"فهناك شبّه إجماع من المؤرخين على أنّ واضع النحو أبو الأسود الدؤلي وجميع الاخبار التي ذكرت غير أبي الأسود الدؤلي في هذه المرحلة من الزمن جميعهم يتصلون بأبي الأسود الدؤلي في الزمان والمكان مثل أبو حرب ابنه، ويحي بن يعمر، وعنسه الفيل وميمون الأقرن ونصر بن عاصم وهؤلاء تلامذته"[4].

وعمل رجال هذه المرحلة على اختراع الحركات الإعرابية من خلال النقط أو ما يسمّى بنقط الإعراب وذلك لحفظ القران الكريم من اللحن والزلل.

المرحلة الثانية: " بناء الأصول والقواعد: حيث ظهر عند رجال هذه المرحلة بناء أصول النحو من سماع وقياس وعلل، حيث تذكر المصادر أنّ عبد الله بن أبي إسحاق هو أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل"[5].

---

[1] أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط2، ص22

[2] عبد الله حمد الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي، ص67.

[3] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص12

[4] أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص11.

[5] أبي سعد السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تحقيق: د. محمد إبراهيم النا، د.م: دار الاعتصام، ط1، ص43.

والمقصود بالقياس في هذه المرحلة هو وضع القاعدة النحوية أو الضبط النحوي. فقد فطن إلى أن العربية تحكمها أصول وقواعد يبنى عليها الكلام.

وهذه المرحلة هي من أهم مراحل النحو، حيث دخل النحو مرحلة جديدة في بناء القواعد النحوية والأحكام وقياس كلام العرب بعضه على بعض.

وتبدأ هذه المرحلة بعصر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وتنتهي بالخليل بن أحمد الفراهيدي.

"المرحلة الثالثة: التأليف والترجيح والاجتهاد: وتبدأ بعصر سيبويه مرورا بعلماء النحو واللغة في البصرة والكوفة وبغداد وحتى زمن الاختلاف والترجيح في القرن 4 هـ.

لقد توصل كثير من النحويين القدامى إلى عدد من الضوابط والقواعد والمصطلحات في كتبهم التي ألفوها في بداية التأليف النحوي، واتفاقهم على عرف محدد التزموا به سواء فيما يتصل بمن يأخذون عنه المادة اللغوية، أو طريقة استخراج تلك القوانين إلّا أنّ التجرد للبحث في المنهج اللغوي وأصوله لم يبدأ التفكير فيه إلّا متأخرا، وذلك لأنّ النحويين القدامى كانوا معنيين بالتطبيق أكثر من عنايتهم بالتنظير وهو ما تدعوا إليه الحاجة أولا"[1].

" و أوّل حديث عن الأصول النحوية جاء مبكرا عند النحويين الأوائل، يقول محمد بن سلام الجمحي:" أوّل من أسس العربية: وفتح بابها، وانهج سبيلها وأوضح قياسها أبو الأسود الدؤلي.

وممّا سبق يتضح أنّ النحو نشأ مبكرا، أمّا أصول النحو فقد كان متأخرا عن نشأة النحو، حيث أنّه جاء في الصدر الأول للإسلام، وكثرت الروايات في وضعه فمعظم الروايات اتفقت على أنّ أبو الأسود الدؤلي هو من وضعه، حيث نشأ في العراق وكان الأسبق إلى تدوين النحو والصرف، كما تجمع عليه المصادر أنّ النحو نشأ بالبصرة

[1] طاهر سليمان حمودة، جلال الدين السيوطي عصره وحياته وأثاره وجهوده في الدرس اللغوي، بيروت: المكتب الإسلامي، ط1 ، ص339.

وهو من أهم علوم اللغة العربية، ويساعد في التعرف على صحة التراكيب العربية ويكون الهدف من ذلك تجنب الوقوع في الأخطاء.

وعند انتهائنا من نشأة علم النحو، الآن نتطرق الى نشأة البلاغة.

2- البلاغة (النشأة والتطور):

إنّ الإلمام بنشأة البلاغة العربية يتطلب قبل كل شيء الرجوع الى التراث الأدبي الجاهلي شعره ونثره، والدارس لهذا الأدب يلحظ خاصية تميز عرب الجاهلية، وهي امتلاكهم لخاصية القول وتفننهم في طرق التعبير، ممّا جعلهم يبلغون مكانة عالية في الفصاحة والبلاغة.

قال تعالى في محكم:" وإنّه لتنزيل رب العالمين" الشعراء -192-

فالقرآن معجزة إلاهية نزلت "بلسان عربي مبين"، وجد فيه العرب أسلوبا مغايرا لأساليبهم، وفصاحة لم يرق إلى مثلها بشر، وبلاغة لم يوصف بمثلها كلام. تحدى بلاغة العرب التي كانت موضع فخرهم وزهورهم بقوله تعالى: " قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا" الإسراء -88- ."لهذا تمحورت حوله الدراسات لدرس لغته نحوا وصرفا وبلاغة ونقدا... ورأى الدارسون أنّ فيه إعجازا يجب التعرف إلى أصوله ومجازا يجب التطرق إلى حقيقته، وإيجازا يجب الوقوف على أسراره، فكان هذا البيان الساطع حافزا للدراسات البلاغية التي كان القرآن موضوعها الوحيد. ولم تكن هذه الدراسات مطلبا تعليميا بقدر ما كانت مطلبا دينيا للذَوْدْ عن حياض الدين وفضح أضاليل خصومه، ولا تعالي إن ذهبنا إلى أنّ القرآن الكريم تسبب بنشأة علوم البلاغة"[1].

[1] محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، طرابلس-لبنان، 2003، ص15.

وقد نشأت حوله دراسات كثيرة لا حصر لها نذكر منها:

1-مجاز القرآن لابي عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ):

" استخدم أبي عبيدة لأوّل مرة لفظ المجاز، وألّف كتابه هذا سنة 188 هـ وكشف فيه معاني الألفاظ في سياقها من القرآن الكريم، وبين طرائف القرآن في التعبير عن المعاني وما يستحسن قوله في تفسيره. وقد توقف فيه عند وجوه المعنى والأوجه الإعرابية فبات شرحا إعرابيا لغويا بلاغيا في آن واحد.

ومن الظواهر البلاغية التي تطرق إليها نذكر على سبيل المثال لا الحصر: إيجاز الحذف أو المجاز المرسل بعلاقته المحلية عندما فسّر قوله تعالى:" واسأل القرية" يوسف -82- . وقد سُمي فيه المجاز العقلي بالمجاز اللغوي، حيث أسند الفعل إلى غيره ما هو له في الظاهر، وعرض لعدد من صور الالتفات، ولمح إلى ما يسمى بالاستعارة التمثيلية"[1].

أي أنّه استعمل اللفظ في غير موضعه، ورأى أنّ الالتفات من أساليب البلاغة العربية.

ومن الدراسات القرآنية التي خاضت في قضايا البلاغة نذكر:

2-كتاب بيان (إعجاز القرآن للخطابي، ت388 هـ):

" بنى كتابه على طريقة النظم حين ذهب فيه إلى أنّ الكلام "إنّما يقوم بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه"[2].

[1] محمد أحمد قاسم، علوم البلاغة والبديع والبيان والمعاني، ص15-16-17.

[2] الخطابي، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، ط3، ص27.

تحدث بإسهاب عن فصاحة الكلمة لأنّها في نظره جزء من فصاحة الكلام وبلاغته وحسن النظم. ووصفه الكلمة بالفصاحة والجزالة البعيدة عن الغرابة، ولأنّ البلاغة في نظره لا تعبأ بالغرابة.

"إنّ العوامل الأولى في نشأة البلاغة العربية هي:

إنّ العرب نشأوا على تذوق الأسلوب ونقده، والفطنة بجيده ورديئه، ونشأ عن ذلك ظهور أراء نقدية كانت هي الأساس الأوّل للنقد الأدبي عند العرب، وكان هذا النقد هو أساس علم البلاغة العربية... لقد عرفت الأحكام الجمالية على إبداعات الشعراء قبل الإسلام، إذ تذكر الأخبار أنّ النابغة الذبياني كانت تضرب له قبة أدم في سوق عكاظ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، فيصدر عليها أحكامه التي تصور الدرجة التي بلغها تجويد الشاعر وحديثه مع الأعشى وحسان بن ثابت.

إنّ العرب أمة مفطورة على البلاغة، وقد رفع القرآن الكريم منزلة البلاغة فوق منزلتها ومن ثَمّ كان العرب في بحثهم عن خصائص البلاغة العربية يبحثون عن أعز شيء لديهم.

وقد برز في ساحة البحث البلاغي في القرنين الثاني والثالث الهجريين ثلاثة علماء كان لمؤلفاتهم أهمية خاصة وهم: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وأبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل وأبو عبيدة معمر بن المثنى"[1].

"وبدأ علم البلاغة يتأثر بالمنطق اليوناني مع مجيء "أبو يعقوب السكاكي" في القرن 7 هـ ، وهو الذي وضع كتابه "مفتاح العلوم" وتحدّث في القسم الثالث منه عن علم المعاني، وعلم البيان، وأحسن في ترتيب مسائلهما المختلفة ولكنّه لم يجعل علم البديع علما خاصا إلى أن جاء "بدر الدين بن مالك" الذي اختصر "مفتاح العلوم" في كتابه

[1] يوسف أبو العدوس، مدخل الى البلاغة العربية- علم المعاني، علم البيان –علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، ص13-14-15.

"المصباح في علم المعاني والبيان والبديع"، وهو أوّل البلاغيين الذين قسّموا البلاغة العربية إلى علومها الثلاثة: البيان والمعاني والبديع"[1].

"ومع تطور علم اللغة في العصر الحديث، ونشأة علم الأسلوب والدراسات الغربية بدأ الاهتمام بمحاولات الجمع بين الدرس البلاغي والأسلوبية الحديثة، وكان من أبرز المحاولات في هذا الاتجاه كتاب "دفاع عن البلاغة" وكتاب "الأسلوب" لـ"أحمد الشايب" الذي بيّن فيه أهم مجالات البحث في الأسلوب، وحاول عرض البلاغة القديمة في أثواب عصرية، ثم أستمرت الدراسات الأسلوبية في هذا الاتجاه وهي تسعى جاهدة لتأسيس علم الأسلوب العربي، الذي يؤمل منه أن يكون وريثا شرعيا للبلاغة العربية القديمة"[2].

ومن خلال ما سبق نستنتج أنّ البلاغة من أشرف علوم اللغة العربية، فهي العلم الذي يعني بتجويد الكلام من أجل توصيله واضحا إلى الأذهان، فهي تكشف للمتعلم عن العناصر الجمالية التي ترقى بالتعبير صاعدا إلى الكمال الفني، فهي تضع بين أيديه أدوات يستطيع من خلالها أن يأتي بالكلام البليغ.

لقد تطرقنا سابقا إلى المبالغة ونشأتها وتطورها، والأن سنتطرق إلى عنصر أخر حيث تعتبر اللغة العربية من أكثر اللغات التي تتفرّع إلى علوم وأقسام أدبية متنوعة والتي من بينها "الدلالة"، حيث تُعرف الدلالة على أنّها العلم الذي يهتم بدراسة المعنى المقصود ودراسة الوحدات المعجمية، أو هي العلم الذي يهتم بدراسة الشروط والقواعد التي يجب توافرها في الكلمة، حيث أنّ العلماء اللغويين سواء القدماء أو المحدثين كانت لهم الرغبة إلى إيجاد علم يهتم ويدرس علاقة اللفظ والكلمة بالمعنى، وكذلك علاقة اللفظ المفرد بالألفاظ المركبة كجملة واحدة، وهذا ما سوف نفصل فيه الآن من خلال حديثنا عن الدلالة عند القدماء والمحدثين.

---

[1] بن عيسى با طاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت–لبنان، ط1، 2008، ص13

[2] بن عيسى باطاهر ، البلاغة العربية مقدمات و تطبيقات ،ص14.

3- الدلالة بين القدماء والمحدثين:

3-1. الدلالة عند العرب القدامى: سنقتصر على تقديم ماهية الدلالة عند العلماء العرب القدامى تقديما موجزا وسنتطرق أولا:

أ- **الدلالة عند الفرابي (ت 339 هـ):** " اهتم الفرابي بعلوم العربية يستشف من خلال مؤلفاته في المنطق والفلسفة ومن المسائل الدلالية التي بحثها الفرابي"

أقسام الألفاظ باعتبار دلالتها:" حيث صنفها إلى تصنيفات عدة ودراسة الفرابي للألفاظ لا يمكن تصورها بمعزل عن الدلالة، وإنّما الألفاظ ودلالتها وجهات لعملة واحدة"[1].

" بالإضافة إلى أنّ مستوى الدراسة عند الفرابي هو مستوى الصيغة الإفرادية وهو يطلق عليه في الدرس الألسني الحديث بالدراسة المعجمية، التي تتناول الألفاظ بمعزل عن سياقها اللغوي[2].

ما يقوم به مقام اللفظ المفرّد من الأدوات الدالة: حيث قسّم الفرابي الألفاظ إلى ثلاثة أقسام: الاسم والفعل والأداة، وإذا كانت دلالة الاسم والفعل واضحة، فإن دلالة الأداة قد يكتنفها غموض. حيث أنّ الفرابي يقدم شرحا من خلال كتابه "الحروف"، حيث ذكر مسألة "ما" و يكون استعمالها في السؤال عن شيء ما مفرد.

الدلالة محتواه في النفس: يطلق الفرابي على المعاني أو الدلالات مصطلح منطقي هو "المعقولات" التي يكون محلها النفس التي فيها تصحيح المفاهيم برؤية منطقية.

وهو يشير أيضا إلى أنّ موضوعات المنطق التي تعطي القوانين هي المعقولات، حيث أنّ الألفاظ هي الدّالة على المعقولات"[3].

---

[1] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، إتحاد الكتاب العربي للنشر والتوزيع، دمشق، 2001، ص28.

[2] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه، ص28

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص29

ويمكننا أن نستنتج بأنّ النظرية الدلالية عند الفرابي لا تخرج عن إطار الألفاظ بالمعاني ضمن القوانين المنطقية، فهو اهتم بهذا الجانب كثيرا، ويمكننا أن نجمل تعريف الدلالة عند الفرابي على أنّها: تنظم وتتناول الألفاظ ومدلولاتها، وتتبع سنن الخطاب والتعبير لتقنيته وتقعيده.

ب-الدّلالة عند الغزالي (ت 505 هـ): "إنّ مفهوم الدلالة عند الغزالي ينبغي أن ينظر من زاوية الثقافة الأصولية، ذلك أنّ الأحكام التي استنبطها من القرآن الكريم خاصة استند فيها على أساس نظرية نجدها بشكل واضح في كتابه "المستصغى من علم الأصول"، حيث أنّ التفسير الدلالي الذي توصل إليه الغزالي، قد تجاوز البحث عن ماهية الدلالة إلى البحث عن جوهر الدلالة وفروعها. حيث ذكر أصنافا لمعان قد حددها علماء الدلالة المحدثين كالمعنى الإرشادي أو الإيمائي، والمعنى الإتساعي والمعنى السياقي "[1].

فمن خلال قول الغزالي حول الدلالة نبرز قولنا في أنّ التصنيفات التي حددها الغزالي تمثل وعيا عميقا صحب فكر هذا العام ومكّنه من أن يسهم في تأسيس الفكر النضري في مجال الدلالة. حيث أنّ تلك الإشارات التي أشار إليها الغزالي في مفهومه للدلالة يبرز ما مدى ثراء تراثنا المعرفي التي أتخذ من النص القرآني كمعطى مثالي من أجل وضع أسس لنظرية معرفية شاملة.

ج- الدّلالة عند إبن خلدون (ت 808 هـ): "إنّ دراسات إبن خلدون قد تجاوزت الماهية إلى البحث العميق عن جوهر الدلالة وطرق تأديتها، فإبن خلدون على نهج الغزالي، يوضح العلاقة القائمة بين المعاني المحفوظة في النفس والكتابة والألفاظ ويحصرها في ثلاثة أصناف: الكتابة الدّالة على اللفظ، اللفظ الدال على المعاني في النفس والضمير،المعاني الدالة عن الأمور الخارجية"[2].

---

[1] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي، مستصغى من علم الأصول، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 1993م.

[2] ينظر: أحمد محمد مختار، علم الدّلالة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1988، ص119.

وبهذا فإنّ إبن خلدون قد أجمل في نظرته لعلم الدلالة، وأقسام المعنّى باعتبار الألفاظ ودلالتها، ورغم أنّ هذه النظرة التي أشار إليها إبن خلدون ورغم قِدمها إلّا أنّها ذات قيمة علمية في الدراسة الدلالية الحديثة.

د- الدّلالة عند الشريف الجرجاني (ت 816 هـ): "إنّ جهود الجرجاني حقّ قدرها في ميدان علم الدلالة، هو عمق تحليله وحسن تصنيفه لأقسام الدلالة، وأقسام الدلالة عند الجرجاني اثنان: الدلالة اللفظية إذا كان الشيء الدّال لفظًا، الدلالة غير اللفظية إذا كان الشيء الدّال غير لفظ، ولقد أدرك الجرجاني العلاقة بين طرفي العملية الدّلالية، الدّال والمدلول وحدد طبيعتها في وجود صلة مباشرة بين الدّال والمحتوى الفكري الذي يتحدد وفق المرجع أو الموضوع"[1].

ويمكن أن نبرز وجهة نظرنا في بضعة أسطر هي أنّ الدراسات اللغوية في التراث العربي خصّت جميع العلوم حيث وجدناها في كتب اللغة والمنطق والفقه، والتي تبرز من جهة أخرى حضور الدرس الدلالي بأبوابه الرئيسية في شتى معارف تراثنا، وما ذكرناه نحن سابقا هي بعض جهود العرب القدّامى في الدّلالة، ولقد اتسع اهتمام العرب في تأسيس النظرية الدّلالية، حيث استقطب هذا الإهتمام لدى العرب المحدثين.

3-2 الدّلالة عند العلماء المحدثين:" إنّ مصطلح الدلالة من ضمن المصطلحات التي تبلورت مفاهيمها في العصر الحديث وشملت الدراسة فيها ميادين عدّة في حياة الناس.

وتبعا لاتساع مجالات البحث الدّلالي الحديث، فلم تعد الدّلالة حِكرا على النظام اللغوي وإنما شملتها سيميولوجية أزاحت الهيمنة اللغوية، بل صارت معها جنبًا إلى جنب"[2].

ومقاربة لماهية الدّلالة وحقولها الدراسية في العصر الحديث. حيث بدأ البحث الدّلالي في العصر الحديث بمنهج وصفي يعاين جزيئات الظاهرة اللغوية معاينة وصفية تعتمد طريقة الملاحظة والتحليل فالاستنتاج.

---

[1] ينظر: أحمد محمد مختار، علم الدّلالة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1988، ص120.

[2] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1976، ص158.

ثمّ ارتقى الدرس الدلالي إلى مرحلة التنظير والتقعيد يعتمد على المنهج المعياري، ولكي نقدم صورة واضحة للدلالة في العصر الحديث سوف نبرز مجموعة من اللغويين، حيث أعلن " بربال ميلاد" في تعريفه لعلم الدلالة على أنه العلم الذي يختص بجانب المعنى في اللغة والذي أتى ليسد تلك الثغرة في الدراسات اللغوية ويعتبر بربال أول من وجه الإهتمام إلى دراسة المعاني ذاتها.

ويوضح "سالم شاكر" بأنّ علم الدّلالة يُعنى بالظواهر المجرّدة هي الصورة المفهومية حيث يعتبر العالمان أوجدن و ريشاردز وبعدهما بربال كان لهم الدّور في اتساع الدراسات الدلالية الحديثة. ويحتل اسم "غريماس" مكانا عاليا ضمن الباحثينفي الحقل الدلالي الحديث، ويرجع إلى قدرته على تحقيق الرؤية في قراءاته النقدية للخطاب الشعري والنثري والادبي [1].

وعلى الرغم من تباين آراء علماء الدّلالة حول جوهر العملية الدلالية، فإنّ البحث الدلالي أخذ مسارات جديدة وتوسعت لتشمل ماهو لغوي وغير لغوي من الرموز والإشارات والسمات، حيث أنّ ماهية علم الدلالة كما أوضحناها سابقا عند العلماء القدماء والمحدثين تنأى عن كل تأطير وحصر، كما أنّ المباحث اللغوية الحديثة تتخذ طابع الشمولية في التناول والطرح.

بعد حديثنا عن الدّلالة ومفهومها عند القدامى والمحدثين عند بعض العلماء واللغويين ستنتقل الآن إلى عنصر آخر ألا وهو الإعجاز القرآني، حيث سنتطرق إلى الحديث عن أسلوب القرآن والمفردة القرآنية.

4-الإعجاز في التقديم والتآخير:

إنّ معنى إعجاز القرآن عجز النّاس عن أن يأتوا بمثله فكلمة إعجاز مصدر وإضافتها إلى القرآن من إضافة المصدر لفاعله، ومعنى ذلك أنّ هذا القرآن الكريم دلّ بما فيه من بيان على أنه من عند الله، لذلك عجز الناس من أن يأتوا بمثله، حيث أنّ القرآن له صفة إعجازية

[1] ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العريب، ص44-45.

من حيث المحتوى والشكل ولا يمكن أن يضاهيه كلام بشري، فمن خلال هذا سوف نبرز أسلوب القرآن الكريم.

4-1 أسلوب القرآن: حيث يرى الرافعي أنّ سر التفاوت بين أسلوب القرآن وأسلوب البشر مع أنّ المادة اللغوية واحدة لا تختلف ويرجع إلى أمور أهمها:

"ما نجده في أسلوب القرآن من قوة النسج، وإحكام في السّرد بحيث لو قرأته كله من أوله إلى آخره، فإنك لا تحس بنبوة أ ثغرة، وأنت تنتقل من معنى إلى آخر، ومن الآية إلى التي بعدها"[1].

والرافعي يقصد هنا بأنّ أسلوب القرآن عبارة عن نسج متكامل ومتناسق فيما بينه، فمثلا عند قراءة سورة أو آية تجد أو تحس بذلك الترابط بين عناصره.

" إنّ الأحكام وتلك القوة في الأسلوب القرآني التي نجدها في القرآن مكية ومدنية على السواء، وفي السورة القصيرة و الطويلة على السواء، فهو لا يختلف في تصويره اليوم الاخر والحديث عن الكون وآيات الوحدانية، لا يختلف في هذه عنه في آيات الأحكام على تعددها وهذا ما لا نجده عند فصحاء العرب شعراء وخطباء"[2].

وما يقصده هنا هو أن أسلوب القرآن واحد، ونظامه المتكامل والمتجانس نجده في جميع سوره القرآنية، وهنا يتبين نظم القرآن، والذي نجده مختلف عند العرب والشعراء.

"إنّ أسلوب القرآن نسق واحد وهذا ما يجعله يختلف عن أساليب البشر، حيث كانت أمزجتهم تنعكس على أساليبهم"[3].

وما يقصده هنا هو تقريبا كما ذكرناه سابقا في أنّ نسق القرآن واحد أي أنه نظم واحد متكامل ومتداخل، وهذه الميزة جعلته يختلف عن أساليب البشر.

---

[1] الدكتور فضل حسين عياس، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط5، 2004، ص96.

[2] الدكتور فضل حسين عباس،إعجاز القرآن الكريم ، ص96.

[3] المرجع نفسه، ص97.

ويمكننا أن نشير أيضا إلى أنّ الباقلاني في حديثه عن أسلوب القرآن ونظمه نجده قريبا مما قرره الرافعي، لكن الرافعي أفرغه بقالب جديد وبناء محكم.

وبعد ما ذكرنا بعض النقاط من أسلوب القرآن الكريم، سننتقل إلى حديثنا عن المفردة القرآنية.

4-2 المفردة القرآنية: "إنّ المفردات القرآنية هي مفردات منتقاة مختارة، وحين ننظر في المعاجم اللغوية نجدها زاخرة بالألفاظ الكثيرة، بالإضافة إلى أنّ المفردات القرآنية لها خصائص ومميزات، وجمالها واتساقها الكمال مع المعنىّ، واتساع دلالتها لما تسمع له عادة دلالات الكلمات الأخرى.

أي أنّ المفردات القرآنية لها دلالتها ولها إعجاز في سياقها، بالإضافة إلى دلالتها الواسعة، والمعنى الموحد التي تتميز به.

"وقد اعتبر بعض العلماء فصاحة الألفاظ القرآنية أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم، ومنهم "الخطابي" من خلال قوله: "اعلم أنّ القرآن إنما صّار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف منظما أصح المعاني"[1].

"فهو يعتبر بأنّ اختيار أنسب الألفاظ عمود البلاغة، كما يبين لنا من خلال قوله ما مدى فصاحة ألفاظ القرآن الكريم، وتلك ألفاظه المنتظمة، والمعاني المتسلسلة جعلته معجزا. كما أنّ إعجاز القرآن الكريم أيضا باحتوائه على مفردات من كل لهجات العرب، واحتوائه على كثير من المفردات من لغات عديدة"[2].

ويمكننا أن نشرح هذه النقطة من خلال تبيان مظاهره إعجازية المفردات القرآنية وجود مفردات قد يظنها غير المتدبر في الآيات القرآنية متشابهة أو تؤذي المعنى ذاته "كالحمد" و "الشكر"، غير أنها لا تؤدي المعنى ذاته، وهذا وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

---

[1] بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون الجزائر، د.ط، 1992، ص251

[2] المرجع نفسه، ص251.

وبناءًا على هذا يمكننا القول بأنّ إعجاز القرآن الكريم يفيد صدق القرآن الكريم وكماله في الشكل والمضمون، ومن جهة أخرى عجز العرب والأجيال من بعدهم عن نقد القرآن وتفنيده والإتيان بمثله.

الفصل الأول:

التقديم والتأخير عند النحويون والبلاغيون

5- المبحث الأول: التقديم والتأخير عند النحويون

6- المبحث الثاني: التقديم والتأخير عند البلاغيون

7- المبحث الثالث: نظرية النظم

المبحث الأول:

التقديم والتأخير عند النحويون

8- تعريف التقديم والتأخير

1-1 لغة

1-2 اصطلاحا

9- التقديم والتأخير عند سيبويه

10- التقديم والتأخير عند أبي علي الفارسي

المبحث 01: التقديم والتأخير عند النحويين:

التقديم والتأخير من المزايا النحوية يصيب التراكيب اللغوية والجملة العربية فيختل ترتيبها الأصلي، فيقدم ماحقه التأخير ويؤخر ما حقه التقديم لدواع تقتضي ذلك، فيضفي على الجملة العربية ذوقا بلاغيا فهو أسلوب فني من أساليب البلاغة العربية لأنّ فيه دلالة على التمكن من الفصاحة والقدرة العالية على حسن التصرف في الكلام.

أولا: تعريف التقديم والتأخير:

أ- **التقديم لغة:** جاء في معجم الوسيط: "قَدَمَ: فلان قدما، تَقَدُّمَا وَقَدَمَا: شَجُعَ فهو قدوم ومِقْدَامُ والقوم قدما وقدوما سبقهم فصار قدامهم وفي التنزيل العزيز قال تعالى: يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ...."[1]

معنى ذلك أنّه يكون المتقدم ويحتل المرتبة الأولى دائما في الصدارة.

- وجاء في أساس البلاغة للزمخشري قوله:

"يقال تقدمه، وتقدم عليه واستقدم وقدمته و أقدمته فقدم بمعنى تقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة والإقدام في الحرب"[2].

أي أنه يكون دائما الأوّل.

- **التأخير لغة:**

جاء في أساس البلاغة للزمخشري قوله:

""ويقال آخر: جاءوا عن آخرهم، والنهار يخر عن آخر فآخر والناس يرذلون عن آخر فآخر والسترة مثل آخره الرحل ومضى قدما وتأخر أخر وجاء في أخريات الناس وجئت أخير او بأخره"[3].

المعنى هنا هو المرتبة الأخيرة.

---

[1] إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، ج1، ص08.

[2] الزمخشري: أساس البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت:2005، ص667.

[3] المصدر نفسه، ص667.

وجاء في معجم الوسيط: "أخر: تأخروا الشيء جعله بعد موضعه والميعاد أجله تأخر عنه جاء بعده، وتقهقر عنه ولم يصل إليه"[1]

يدل على الموقع المؤخر.

ب- التقديم والتأخير اصطلاحا:

يعرف النحاة العرب التقديم والتأخير أنّ "اللفظ تابع للمعنى في النظم وأنّ الكلمة تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتا وأصداء لما كان وقع في النفس، لذا يجب مراعاة الترتيب والنظم وأن يجعل لها أمكنة ومنازل وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك"[2].

وبهذا يمكن القول أنّ التقديم والتأخير عند النحاة لم يرد إلاّ من خلال بعض الإشارات لأنهم لم يفردوا له أبوابا خاصة به، ويجب الالتزام واحترام ذلك الترتيب وإعطاؤه مكانة تروق به.

وعرفه سيبويه حيث قال:

"فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول وذلك قولك: (ضرب زيدا عبد الله) لأنك إنما أردت به مؤخرا في اللفظ، فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما وهو عربي جيد كثير كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنياهم"[3].

معنى ذلك أنّ التقديم والتأخير يمكن أن يطرأ على الجملة العربية فيتقدم ما يجب تأخيره وتأخير ما يجب تقديمه فهو غلط في الترتيب كتقديم المفعول على الفاعل.

---

[1] إبراهيم مصطفى وأخرون، معجم الوسيط، ص08

[2] عبد الله جاد كريم، الدرس النحوي في القرن العشرين مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2004، ص201.

[3] ابو بشر عمرو بن غثمان بن قنبر الملقب سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ج1، ص34.

ظاهرة التقديم والتأخير من الظواهر التعبيرية المهمة التي احتلت مكانة متميزة في الدراسات النحوية والبلاغية وان اختلفت طريقة تناولها بين النحويين والبلاغيين، فالجملة العربية لا تتميز بحتمية في ترتيب أجزائها، ورغم ذلك ترك لنا النحو رتبا تحفظ بالنسبة لهذه الأجزاء، والعدول عن هذه الرتب يمثل نوعا من الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية.

وتتميز الكلمة في اللغة العربية بحرية التنقل ضمن الجملة لأنها تحمل معها ما يدل على صفتها الإعرابية، وهذا لم يتح لغيرها من الكلمات في غير العربية، والقيمة النحوية للكلمة الأجنبية إنما تتحدد بموضعها المخصص لها في الجملة، فإذا زحزحت عن مكانها خرجت عن صفتها، واتخذت لها صفة أخرى يحددها موضعها الجديد، من خلال قولنا هذا الذي بدئنا به كلامنا وفتحنا به موضوعنا سوف نعرض أبرز النحويين الذين تحدثوا عن هذه القضية، أو ما نسميها بظاهرة التقديم والتأخير. بعدها تحدثنا سابقا عن تعريف هذه الظاهرة.

2- التقديم والتأخير عند سيبويه:

لقد تنبه سيبويه لظاهرة "التقديم والتأخير"، ومالها من أثر دلالي عند حديثه عن الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعوله، حيث يكون التقديم لما يكون بيانه أهم وأولى يقول: "فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ[1]

كما جرى في الأول مثل: ضرب زيدا عبد الله،" لأنك إنما أردت به مؤخرا في اللفظ، فمن ثم كان حدّ اللفظ أن يكون الفاعل مقدما، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم"[2].

وما يقصد سيبويه في قوله من خلال المثال الذي ذكره "ضرب زَيْدًا عبد الله" فإذا قلنا "ضرب عبد الله زَيْدًا "، فعبد الله ارتفع وانتصب زيد لأنه مفعول تعدى إليه فعل الفاعل، فإن

[1] أبو بشر عمرو عثمان قنبر الملقب بسيبويه، كتاب الكتاب تحقيق محمد كاظم البكاء، زيت الحقوقية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، القسم الأول، الجزء الأول، ط1، المجلد 1، 2015، ص88.

[2] سيبويه، كتاب الكتاب، ص88

قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول وذلك من خلال قولنا "ضرب زيد عبد الله" لأننا هنا إنما أردنا به مؤخرا ما أردنا به مقدما ولم نرد أن نشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ، وهو ما قصده سيبويه في قوله الذي ذكرناه سابقا.

وبتقديم المفعول به على فعله أيضا للعناية والاهتمام ففي باب ما يكون فيه الاسم مبنيا على الفعل قدّم أو أخر وما يكون فيه الفعل مبنيا على الاسم: يقول "فإذا بنيت الاسم أن تعلمه وتحمل عليه الاسم، كما كان الحد "ضرب زيد عمرا"، حيث كان زيد أول ما تشغل به الفعل وكذلك هذا إذا كان يعمل فيه، وإن قدمت الاسم[1].

فهو عربي جيد، وذلك في قولنا: "زيدا ضربت" والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير سواء[2].

ويوضح لنا سيبويه في قوله هنا على بعض الأسباب الموجبة للتقديم وما يتمخض عن ذلك من فوائد جلية ومنها العناية والاهتمام.

"والتأخير يكون للتأكيد أو الشك بعد اليقين ففي (باب الأفعال التي تستعمل وتلغى)، هي ظنّ واخواتها، يقول فإذا ألغيت قلت: " عبد الله أظنّ ذاهب" وهذا أخال أخوك، وكلما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى، وإنّما كان التأخير أقوى لأنه إنما يجيء بالشك بعد ما يمضي كلامه على اليقين، أو بعد ما يبتدئ وهو يريد اليقين ثم يدركه الشك، كما نقول: "عبد الله صاحب ذاك بلغني"[3].

ويمكن أن نفسر في هذه النقطة على أن التقديم هنا ليس للعناية والاهتمام كالمواضع السابق في تقديم المفعول على الفاعل أو الفعل، وإنما التقدم هنا لغرض بلاغي أخر ولعامل نفسي طرأ عليه المتكلم أثناء كلامه وحول يقينه إلى شك، فألزمه تغيير وضع الألفاظ عمّا كان ينبغي أن تكون عليه.

---

[1] سيبويه، كتاب الكتاب، ص89

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص89.

[3] سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق دكتور عبد الحمد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، 2014، ص149.

"وقد تحدث أيضا عن "الاستفهام" نراه يستحسن أن يلي السؤال عنه الهمزة، فيتقدم على الفعل يستحسن ذلك فقط ولا يجعله فاسدا إذا لم يل الهمزة بل يجيز له أن يتقدم أو يتأخر وإن كان التقديم عنده أفضل.

ففي باب أم إذا كان الكلام بها بمنزلة أيهما وأيهم وذلك قولك: أزيد عندك أو عمرو؟ و أزيد لقيت أم بشرا؟"[1].

"فعندما نظرنا في هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن، لأنك هنا لا تسأل عن أحد الاسمين لا تدري أيهما هو، فبدأت بالاسم لأنك تقصد قصدا أن يبين لك أي الاسمين عنده.

وجعلت الاسم الأخر عديلا للأول، وصار الذي لا تسأل عنه بينهما ولو قلت الغيب زيدا أم عمرا كان جائزا حسنا. وإنما كان تقديم الاسم هنا أحسن ولن يجز للأخر أن يكون مؤخرا لأنه قصد أحد الاسمين فبدأ بإحداهما"[2].

ويمكن أن نقول بإنّ تقديم الاسم في الاستفهام يكون لتنبيه المخاطب وتأكيد الكلام حيث يذكر باب من الاستفهام يكون الاسم فيه رفعا لأنك تبتدئ به لتنبيه المخاطب ثم تستفهم بعد ذلك، ويمكن أن نفسر قولنا من خلال هذا المثال: زيد كم مرة رأيته؟ وعبد الله هل لقيته؟

"وقد ذكر سيبويه في باب المفعول الذي تعداه فعله إلى مفعول، وذلك من خلال قولك: كسي عبد الله الثوب وأعطي عبد الله المال، رفعت عبد الله هنا كما رفعته في ضرب حين قلت ضرب عبد الله، وشغلت به كسي وأعطي كما شغلت به ضرب، وانتصب الثوب والمال، لأنهما مفعولان تعدى إليهما فعل مفعول هو بمنزلة الفاعل"[3].

---

[1] سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق دكتور عبد الحمد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، 2014، ص149.

[2] أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، مجلد 01، ط1، 2008، ص239.

[3] سيبويه، الكتاب، ص99.

وتبعا لقول سيبويه، فإننا نقدم ونأخر في المثاليين السابقين فنقول: كسي الثوب زيد" وأعطي المال عبد الله"، كما قلنا أيضا: ضرب زيدا عبد الله، فأمره في هذا كأمر الفاعل.

" ولكن ابن جني لا يأخذ برأي "سيبويه" في أمر التقديم والتأخير وسرّه البلاغي من حيث العناية والاهتمام أو التنبيه، ويثور على ما أرتآه سيبويه فيقول "وإنما هي شيء رآه سيبويه واعتقد قولا، ولسنا نقلد سيبويه ولا غيره في هذه العلة، ولا في غيرها فإنّ الجواب عن هذا حاضر عتيد والخطب فيه أيسر"[1].

ويمكننا تفسير رأي ابن جني من خلال قوله المذكور سابقا، هي أنّ التقديم والتأخير عنده وعند أستاذه أبي علي الفارسي ليس لعلة بلاغة من الاهتمام بشأن المقدّم أو العناية به أو التنبيه عليه، ليس شيء من ذلك إطلاقا، ذلك أنّ المفعول شاع بين العرب وكثر في مذاهبهم تقدمه على الفاعل. حتى دعا ذلك أبا علي إلى أنّ تقديم المفعول قسم قائم برأسه كما أنّ تقديم الفاعل قسم أيضا قائم برأسه وإن كان تقديم الفاعل أكثر وقد جاء به للاستعمال مجيئا واسعا[2].

ومن خلال ما سبق نستنتج بأنّ قضية التقديم والتأخير هي قضية كبرى تناولها علماء النحو والبلاغة، ومازلنا نقرأ عنها حتى يومنا هذا في كتب النحو والنقد والبلاغة هي في أساسها من صنع سيبويه فهو أول من أشار إليها وطرق باباها، ولا شك أنّ هذا فضل ينسب إليه بالفخار ويجعله رائدّا مجيدا من الرواد الذين أسهموا بنصيب وافر في تأسيس علم البلاغة.

وبعد تناولنا لقضية التقديم والتأخير عند سيبويه فسنتطرق الان إلى التقديم والتأخير عند أبي علي الفارسي، وسنحاول أن نبرز أهم النقاط الذي تحدث فيها عن التقديم والتأخير.

[1] أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ط4، 1952، ص72

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص72.

3- التقديم والتأخير عند أبي علي الفارسي:

لقد تحدث أبي علي الفارسي في كتابه "الإيضاح" حول موضوع التقديم والتأخير، من خلال الأبواب الذي تناولها في كتابه، وسنتطرق نحن إلى بعض من هذه الأبواب حيث يفصل في كل باب معنى يتناول فيه التقديم والتأخير.

"باب الفاعل: إنّ الفاعل رفع وصفته أن يسند الفعل إليه مقدما عليه، ومثاله: جرى الفرس، يطيب الخبر، يخرج عبد الله. وبهذا المعنى الذي ذكرت ارتفع الفاعل "لا" بأنه أحدث شيئا على الحقيقة، ولهذا يرتفع في النفي إذا قلت: لم يخرج زيدٌ، كما يرتفع في الإيجاب وكذلك أيقوم زيدٌ".[1]

وينبغي أن يشير في هذه النقطة هي أنّ وصف الفاعل عند النحويين أن يسند الفعل إليه مقدما عليه، وليس الشريطة أن يكون أحدث شيئا، فمثلا عند قولنا: طاب الخبر وليس للخبر فعل كما يكون لزيد مثلا في قولنا: قام زيد وكذلك قولنا: "لم يقم زيدٌ"، فرفعه وقد نفيت عنه الفعل كما ترفع إذا قلت: "يقوم زيدٌ"، فلو كان الفاعل من شرطه أن يكون أحدث شيئا لما جاز رفع زيدٌ في قولنا: لم يقم زيدٌ.

لأننا قد نفينا عنه الفعل، وكذلك إذا قلنا "أيقوم زيدٌ" لأننا هنا لم نثبت القيام له، وإنما استفهمت المخاطب. "وذهب أبي علي الفارسي في قوله عن مرتبة الفاعل أن يتقدم على المفعول به، نحو: "ضرب عبد الله زيدًا"، ويجوز أن يتقدم المفعول على الفاعل من خلال قولنا: "ضرب زيدًا عبد الله".

ولذلك جاز ضرب غلامه زيدٌ، ولم يمتنع كما يمتنع الإضمار قبل الذكر لأنّ التقدير به التأخير فكما أنك لو قلت: ضرب زيد غلامه، لكان إضمار زيد بعد جري ذكره، فكذلك إذا قدم والنية به التأخير"[2].

---

[1] أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله العفار بن محمد بن سليمان بن أب الفارسي، النحوي الإيضاح العضدي، تحقيق دكتور كاظم بحر المرجان، عالم الكتب للطباع، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص101.

[2] أبو علي الفارسي، الإيضاح العضدي، ص102

ويمكننا أن نوضح قول أبي علي الفارسي في أننا لو جعلنا الغلام الفاعل في هذه المسألة فقلت: "ضرب غلامه زيدا"، لم يجز كما جاز ذلك في المفعول به، أي أنّ الضمير إذا تقدم لفظا ولم يتقدم تقديرا ولم يتقدم لفظا نحو "وإذّا ابتلى إبراهيم ربه"[1]، جاز فإن تقدم لفظا وتقديرا نحو: ضرب غلامه زيدا" لم يجز البتة.

"ونقول: ما أردت؟ فيكون "ما" في موضع نصب بأنه مفعول به وما مررت في الجّر، وما جاء بك؟ فيكون "ما" في موضع رفع بالابتداء وفي "جاء" ضمير فاعل جاء وبك في موضع نصب بأنه مفعول به، وكذلك ما أرضاك؟ وما أسخطّك؟"[2].

وما يقصده في هذه الأمثلة، ما أردت؟ فهي للاستفهام، وهي في موضع نصب بأردت فكأنك قلت: أي شيء أردت؟ والغرض في هذه المسألة أن يرينا تقديم المفعول على الفعل.

وفي مثال "ما جاء بك؟" فهو بمنزلة أي شيء جاء بك؟ فأي شيء مبتدأ وجاء فيه ضمير يعود إليه كالألف مثلا في قولنا: "الزيدان ضربا"، وأرّاد بهذا إعلامنا أنّ ما الكائن بمعنى أي شيء لا يكون مرفوعا بأنه الفاعل، لأجل أنّ الفاعل لا يتقدم على فعله بل يكون مرفوعا لابتداء، وجاء متضمن ضميرًا كما قلنا: "الزيدان ضربا" كذلك.

وسننتقل الآن إلى مثال آخر في قولنا أكرمني وأكرمت عبد الله وأكرمت وأكرمني عبد الله، فتحمل الاسم المذكور بعد الفعلين على الفعل الآخر ولا تحمله على الأول، أي أن إحداهما يقتضي منصوبا وهو "أكرمتُ"، لأخذه فاعله وهو ضمير المتكلم، والثاني يقتضي فاعلا وهو أكرمني[3].

لأنه قد أخذ المفعول وهو الياء، فكما ذكرنا سابقا بأنّ الاسم المذكور وبعد الفعلين على الفعل الأخر ولا تحمله على الأول لأن الثاني من الفعلين أقرب إليه، فعند قولنا "أكرمني" في

---

[1] سورة البقرة الآية "124"

[2] أبو علي الفارسي، الإيضاح العضدي، ص103

[3] ينظر: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني للمقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر والتوزيع، العراق، المجلد 1، 1982، ص327.

المسألة الأولى فعل فاعله مضمر على شريطة التفسير. المعنى" أكرمني عبد الله" و"أكرمت عبد الله" إلّا أنّ الفاعل أضمر قبل الذكر، لأنّ المفعول يفسره ويدل عليه[1].

ويمكن أن نوضح أكثر في أنه لا يجوز إعمال كل واحد منهما إذ أنّ الاسم الواحد لا يعمل فيه عاملان في حال واحدة ولا يمكن أن يكون منصوبا ومرفوعا إلّا في وقتين، حيث أنّه إذا فسد القسم الأول بقي القسم الثاني وهو أن يعمل أحدهما ويمكن أن نقول بأنّ أولى الفعلين بالعمل وأقربهما إلى الاسم وهو "أكرمت" فتنصب به عبد الله وتضمر "لأكرمني" فاعل، لأنّ الثاني يفسره من خلال قولنا:" أكرمني عبّد الله"، ثمّ اضمرت الأول لدليل الثاني عليه.

"وجاء القرآن بإعمال الثاني من الفعلين في قوله عز وجل " آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا "[2]

ولو عمل الأول لقال: آتُونِي أُفْرِغْه عَلَيْهِ قِطْرًا، أي آتوني قطرا أفرغه عليه[3]".

ويجب أن نشير هنا ونبين إلى أنّ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فيه فعلان كل واحد منهما يقتضي مفعولا، فلا يخلوا أن تنصب قطرا المذكورة "بأفرغ" أو "بآتوني"، فلو نصبته بآتوني لم يجز لأنه إذا كان مقدما في البنية نحو آتُونِي قِطْرًا وكان يجب إضماره في الفعل الثاني نحو أن تقول: "أفرغه عليه" كما قلنا مثلا: ضربني وضربته عبد الله"، لأنّ التقدير "ضربني عبد الله وضربتهُ".

والآن سننتقل إلى "باب الفعل" المبني للمفعول به .

وقد ذكر فيه أبي علي الفارسي بأنّ الأفعال على ضربين: متعد وغير متعد، فالأفعال التي لا تتعدى لا تبنى للمفعول به وذلك نحو ذهب وجلس والمتعدي ما نصب مفعولا به

[1] ينظر: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني للمقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر والتوزيع، العراق، المجلد 1، 1982، ص336.

[2] سورة الكهف الآية 96.

[3] أبي علي الفارسي، الإيضاح العضدي، ص103.

وذلك نحو قولنا: "عرفت بكرًا" و "أكرمت بكراً" فعرفت وأكرمت مبني للفاعل، وإذا بنيناه للمفعول به قلنا: أكرم زيدٌ، عرف خالدٌ"[1].

ويمكننا أن نوضح نقطة مهمة هنا هي أنّ الأفعال التي لا تتعدى هي التي لا يكون لها مفعول به، نحو قام زيد يعني لا يكون فيه البناء للمفعول به.

أما الأفعال المتعدية ما كان لها مفعول به، كما ذكرنا في المثال السابق عرفت زيدا، أي يبنى للمفعول به ويحذف الفاعل.

"وننتقل إلى مثال آخر فعند قولنا "أعطيٌت زيدًا درهمًا" في هذا المثال بني الفعل للمفعول به فإذا قلنا: أعطي زيدٌ درهمًا، فيرتفع زيدٌ بالفعل، فإذا قدمت زيدًا قلت: زيدً أعطي درهمًا فأرتفع زيد بالابتداء وفي أُعطي ضمير يعود إليه، وإن قدمت الدرهم مع زيد قلت: "زيدً الدرهم أعطيتهُ"، وان تثنيت قلت: "الزيدانِ الدرهمانِ أعطياهمَا" [2].

ضف إلى ذلك عند قولنا أعطي زيدٌ الدرهَم، فتقيم زيد مقام الفاعل، وهو أحسن، ويجوز كذلك أعطي الدرهمَ زيٌد لأنهما جميعا مفعول بهما، فجاز لذلك أن تقيم كل واحد منهما مقام الفاعل[3].

ويمكننا أن نشير في هذه النقطة إلى أنّنا عند قولنا "أعطيتٌ زيًدا الدرهمَ" أن تضع موضع الفاعل المفعول الأول الذي هو زيد فتقول: "أعطي زيدٌ الدّرهَم"، وإن وضعت الثاني كان جائزا وذلك بقولنا: "أعطي الدرهم زيدًا"، ولكن يمكننا القول بأنّ الأول أحسن لأمرين اثنين هما:

أنّ أحدهما فاعل في المعنى، فمثلا حين نقول: "أعطيتٌ زيٌدا درهمًا"، كان زيدٌا آخذا، والأخذ فاعل كما أنّ المعطي كذلك، وليس للدرهم الفاعلية أبدا لأنه مأخوذ والثاني أنّ المفعول الأوّل أقرب إلى الفاعل في اللفظ

[1] ينظر: أبو علي الفارسي، الإيضاح العضدي، ص104.

[2] المصدر نفسه، ص106

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص106

فعندما نتمعن نرى بأن مرتبة زيد قبل مرتبة الدرهم فإذا أسقطنا الفاعل كان الذي بجنبه أولى بموضعه ورتبته من ليس بمجاور له.

"وإذا قلنا: "ضُرَب زيدٌ الضرَب"، لم يستقم أن ترفع الضرب وتنصب زيدا، لأنّ الضرب مصدر، وليس مفعول به كالدرهم"[1].

ويمكننا الشرح والتوضيح هنا على أنه لم يجز أن يقوم الضرب مقام الفاعل مع وجود ما هو أحق منه بالفعل وهو زيدٌ فنقول مثلا: "ضرب زيٌد الضرَب" ولا تقول ضُرب الضرٌب زيدًا" كما قلنا سابقا: "أُعطَي الدرّهمُ زيدًا".

وسنتطرق الآن إلى القول الذي ذكره أبو علي الفارسي: في حديثه عن الجار مع المجرور من خلال مثال: "ذُهبَ بزيدٍ وُجلسَ إلى عَمرٌو، فيكون الجار والمجرور في موضع رفع بإسناد الفعل إليهما كما تقول: "ما جاءني من رجل"، فيكون قولك: من رجِل، في موضع رفع"[2].

ويمكننا أن نبرر بعض النقاط هنا ونوضحها هي أنه عند قولنا: "ذهبتٌ بزيدٍ"، كان الجار مع المجرور في موضع نصب، لأنّ المعنى هو: "اذهبٌت زيدًا" وإذا قلنا "ذهب بزيدٌ" فإن بزيد في موضع رفع كما يكون زيد أيضا في موضع رفع في قولنا: "أُذهب زيدٌ"، وكذلك في قولنا جُلس إلى عمرو، لأنه بمنزلة جولس عمرٌو.

فكما ذكرنا سابقا بأنّ قضية التقديم والتأخير تناولها العديد من النحويين والبلاغيين، فأبي علي الفارسي كانت له بصمته الخاصة في هذه القضية فهو عالجها ودرسها من جوانب عديدة، ونحن حاولنا وذكرنا بعض الجوانب التي درسها وليست كلها.

فبعد ما ختمنا مبحثنا الأول بالتقديم والتأخير عند علي الفارسي، فسننتقل إلى مبحثنا الثاني وهو التقديم والتأخير عند البلاغيين عند كل من الجرجاني و السكاكي، والتي كانت لهم جهود كبيرة في هذا الميدان، والتي سوف نسلط عليها الضوء من خلال مبحثنا.

[1] عبد القاهر الجرجاني، كتاب المقتصد في شرح الإيضاح، ص352.

[2] أبو علي الفارسي، الإيضاح العضدي، ص107.

المبحث الثاني:

التقديم والتأخير عند البلاغيون

1- التقديم والتأخير عند الجرجاني

2- التقديم والتأخير عند السكاكي

1- التقديم والتأخير عند الجرجاني:

يقر عبد القاهر الجرجاني بأنّ لكل من التقديم والتأخير فائدة شريفة ومعنى جليل في بعض الكلام، فهو يعيب على كل من لم يولي اعتبارا لأسرار البلاغة ومقاديرها، وصدّ وجهه عن العناية بها، ومن خلال هذا التقديم نتوصل إلى أنّ التقديم والتأخير عنده يقوم على وجهين:

1-1 تقديم يقال إنّه على نية التأخير:

وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذ قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك: "منطلق زيد" و" ضرب عمرَا زيدٌ" معلوم أنّ "منطلق" و "عمرَا" لم يخرجا بالتقديم عمّا كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعا بذلك، وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله، كما يكون إذا أخّرت[1].

ومعنى هذا أنّه يجب المحافظة على ترتيب عناصرها كما هي في الأصل (مبتدأ + خبر) أو (فعل + فاعل+ مفعول به)

1-2 تقديم لا على نية التأخير:

ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له، فتقدم تارة على ذلك وأخرى ذاك على هذا، ومثاله تصنعه (يزيد والمنطلق) حيث تقول مرة: "زيدُ المنطلق" وأخرى "المنطلق زيدٌ" فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير فيكون خبر مبتدأ كما كان، بل على أن تنقله عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ، وكذلك لم تؤخر زيدًا على أن يكون مبتدأ كما كان، بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرَا"[2].

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص106

[2] المصدر نفسه، ص107

بمعنى هو تبادل للمواقع، حيث يأخذ المقدم موقع المتأخر فالتقديم هنا باعتبار أن المقدم صالح لأن يؤخر (لا على نية التأخير) وليس (على نية التأخير) يحقق لنا معنى التقديم فمثلا "زيدٌ المنطلق" تتكون هذه الجملة من مبتدأ ثم خبر فإذا قدمنا " المنطلق زيدٌ" انعكس الأمر حيث يصبح "المنطلق" هو المبتدأ و "زيد" هو الخبر"، بمعنى ينتقل اللفظ من معنى إلى آخر.

ومن أولى المسائل التي يعالجها الجرجاني التقديم والتأخير:

أ- الاستفهام بالهمزة:

يعالج الجرجاني الاستفهام بالهمزة من منطلق أنّ معنى هذا الاستفهام، مع الفعل الماضي، إنما هو للتقرير أي أنك تسأل عن الفعل لتقرير حصول الفعل أو نفيه وتسأل عن الاسم لتقرير كونه فاعلا أو غير ذلك، أما تقديم المفعول به مع الهمزة فلا يتناوله الجرجاني في باب الاستفهام إلا مع الفعل المضارع، ويطلق دستورا يقول إنّه يغني عن كل ما سواه وهو "أنه لا يجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر"[1].

معنى هذا أنّ الاستفهام استخبار والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك فإذا كان كذلك كان محالا أن يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام...ثم لا يكون هذا الاقتران في الخبر... ذلك لأنّه يؤدي إلى أن تستعمله أمرا لا سبيل فيه إلى جواب، وأن تستثبته المعنى على وجه ليس عنده عبارة يثبته لك بها على ذلك الوجه.

وينظر الجرجاني إلى المسألة من وجهة أخرى: وهي أنّ معنى الجملة الاستفهامية يختلف إذا كان الفعل ماضيا أو مضارعا، إذ لكل جملة استفهامية دلالة ومعنى مختلفين بحسب الفعل المستخدم فمن مواضع التقديم والتأخير قولنا: "أفعلت؟" فهو تقديم للفعل

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص87.

الماضي، بدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه وكان الغرض من استفهامك أن تعلم وجوده"[1].

معنى هذا أنّه يتقدم الفعل الماضي في الاستفهام بالهمزة إذا كان هناك شك في نفس الفعل والمراد منه معرفة وقوع الفعل أو عدمه، وأنت لا تدري إن وقع الفعل أو لم يقع.

وإذا قلت (أأنت فعلت؟)[2] فبدأت بالاسم، فهنا الشك في الفاعل من هو، أي من الفاعل.

وعند انتهائنا من تقديم الفعل وتقديم الاسم في الفعل الماضي، فينبغي أن ننظر فيه والفعل المضارع: والقول في ذلك أنك إذا قلت (أتفعل) و (أأنت تفعل) فإذا أردت الحال كان المعنى شبيها بما مضى في الماضي (أتفعل) هنا المعنى أنك أردت أن تقرره بفعل هو يفعله وتدعي أنك لا تعلم أن الفعل كائن، وإذا قلت (أأنت تفعل؟) المعنى أنك تريد أن تقرّره[3] بأنه الفاعل لكنه لا يحتاج إلى الإقرار لأنه كائن.

واعلم أنّ حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل، أعني انّ تقديم اسم المفعول يقتضي أن يكون الإنكار في طريق الإحالة والمنع من أن يكون كقولك: (أزيدًا تضربُ؟)[4]، كنت قد أنكرت أن يكون زيد بمثابة أن يضرب، فأنت هنا تعلم أنّه يضرب أحدًا ولكن يستعلم من هو.

والآن ننتقل إلى مسألة النفي حيث أنّ التقديم والتأخير في النفي شبيه في بعض أحواله بالتقديم في الاستفهام بالهمزة إذا قلت: (ما فعلت) كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنّه مفعول وإذا قلت: (ما أنا فعلت) نفيت عنك فعلا يثبت أنّه مفعول.

معنى هذا في قوله (ما فعلت) أنّ فعل القول غير مثبت في ذاته أمّا (ما أنا فعلت) معنى ذلك أنّ أحدًا آخر فعل هذا وأنك نفيت أنك الفاعل.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص111.

[2] المصدر نفسه، ص111.

[3] ينظر: المصدر نفسه ، ص87.

[4] المصدر نفسه، ص87.

وقال عبد القادر الجرجاني في تقديم المفعول في النفي: " إنّ تقديم الفعل ينفي الفعل وتقديم المفعول به يثبت الفعل وينفي الواقع عليه الفعل"[1]، فإذا قلت (ما ضربت زيدًا) هنا قدمت الفعل والمعنى نفيت وقوع الفعل من الأصل أي الضرب غير واقع منك على زيد.

ومما ينبغي أن تعلمه أن يصح لك أن تقول: (ما ضربت زيدًا ولكني أكرمته) معنى هذا أنك تعقب الفعل المنفي بإثبات فعل ضده.

أما في تقديم الجار والمجرور يقول الجرجاني: "حكم الجار والمجرور في جميع ما ذكرناه حكم المنصوب"[2].

معنى هذا أنك إذا قدمت الفعل نفيت وقوعه على يد الفاعل ومثال ذلك: (ما بهذا أمرتك) أي أنك أمرته بشيء آخر فهنا قدم الجار والمجرور لنفي وقوع الفعل عليهما وهو واقع على أمر آخر.

ومن خلال ما سبق نستنتج أنّ تقديم الفعل في النفي على الفاعل أو المفعول أو الجار والمجرور وهو نفي للفعل الواقع في الجملة دون وجوب نفي هذه الأسماء، أمّا تقديم أي من الفاعل أو المفعول أو الجار والمجرور فهو إثبات للفعل ونفي للأسماء بذاتها، يقول الجرجاني: "واعلم أنّ هذا الذي بان لك في الاستفهام والنفي من المعنى في التقديم قائم مثله في الخبر المثبت"[3]، فإذا كان القصد إلى الفاعل دون آخر أو دون غيره فتقول: (زيد قد فعل– وأنا فعلت) وهذا التقديم على معنيين: الأول: هو قصر الفعل على الفاعل دون آخر ودون غيره (أنا كتبت في معنى فلان) تريد أن تزيل الاشتباه فيه والادعاء عليه[4].

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص74

[2] المصدر نفسه، ص85.

[3] المصدر نفسه، ص85.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص85.

"أما الثاني: أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل وتمنعه من الشك فأنت لذلك تبدأ بذكره وتوقعه أولا"[1].

معنى هذا أنّه ليس لإفراد الفعل بالفاعل بل للتحقيق على السامع بأن الفاعل هو الذي فعل لذلك تذكر الفاعل أوّلا للتنبيه عليه لكي لا أحد يأخذ مكانه ولا أحد يقوم بالفعل غيره.

من خلال ما سبق نستنتج أن التقديم والتأخير عند الجرجاني يفرق بين دلالة البدء بالاسم والفعل ويرى أنّ الفرق بينهما يسن إلى الحد الذي لا يستطيع أن ينكره أحد، وهو عنصر أساسي لإقامة الكلام واستعماله على الصحة وعلى ما ينبغي له كالتعريف والتنكير والحذف والتكرار والإضمار.

هدف الإمام الجرجاني من التقديم والتأخير أنّ المعنى يتأثر بذلك ويعطي دلالات مختلفة، لأنّ الإعراب فرع المعنى ولذلك أخذ على النحاة أنهم يهتمون بالإعراب والتأويل فقط دون النظر إلى دلالات المعنى.

2- التقديم والتأخير عند السكاكي:

يعرفه على أنه:" هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضيه الحال ذكره"[2].

معنى هذا أن الكلام يكون بغرض الإفادة من خلال تحريك عنصر من موقعه الأصلي إلى موقع آخر مع مراعاة الوقوف في الخطأ.

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 128-129.

[2] السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1-ط2، ص

- ويكمن التقديم والتأخير عند السكاكي على:

2-1 تقديم المسند على المسند إليه:

وأما الحالة التي تقتضي تقديمه على المسند فهي: لأن أصله التقديم ولا مقتضى الحال للعدول عنه وإمّا متضمن للاستفهام نحو قولك: أيهم منطلق؟

وإمّا لأن في تقديمه تشويقا للسامع إلى الخبر ليتمكن في ذهنه وهو إحدى خواص تراكيب الأخبار كما إذا قلت: بدل قولك زيد منطلق الذي زيد هو منطلق.

والمراد بالأخبار في عرف النحويين: هو أن تعمد إلى أي اسم شئت فتزحلقه إلى العجز، و تصير ما عداه صلة للذي إن كانت الجملة إسمية، وأمّا إن كانت فعلية فله أو للألف واللام بمعناه واضعا مكان المزحلق ضميرًا يعود على الموصول نحو: أظن الذباب يطير في الجو فيغضب أبا زيد.

2-2 تأخير المسند إليه عن المسند:

وأما الحالة التي تقتضي تأخيره فهي إذا اشتمل المسند على وجه من وجوه التقديم.

لإطلاق المسند إليه أو تخصصيه، حال التنكير: وأمّا الحالتان المتقضيتان أنّ لإطلاق المسند إليه أو تخصيصه حال التنكير فأنت إذا مهرت فيما تقدم استغنيت عن التعريف فيهما[1].

2-3 تأخير المسند:

وأمّا الحالة المقتضية لتأخير المسند فهي: إذا كان ذكر المسند إليه أهم، كما مضى في فن المسند إليه: وإياك أن تظن بكون الحكم على المسند إليه مطلوبا إستيجاب صدر الكلام له، فليس هو هناك فلا تغفل.

---

[1] ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص 194-195-196.

[2] سورة الكافرون ، الآية 6

[3] سورة البقرة ، الآية 36

2-4 تقديم المسند:

وأمّا الحالة المقتضية لتقديمه فهي: أن يكون متضمنا للاستفهام كنحو: كيف زيد؟ وأين عمروا؟ ومتى الجواب؟ والقانون الثاني موضع تقريره، أو أن يكون المراد تخصيصه بالمسند إليه كقوله عزّ وجل: "لكم دينكم ولي دين"[2]، وقولك لمن يقول: زيد إمّا قائم وإمّا قاعد، فيردده بين القيام والقعود من غير أن يخصصه بأحدهما، قائم هو.

وقولهم: تميمي أنا، وارد على هذا، وسيأتيك في هذا المعنى في فضل القصر كلام، أو أن يكون المراد التنبيه على أنه خبر لا نعت، كقوله تعالى "ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين"[3] فإن النعت لا يقدم على المنعوت، لذلك يقال: جاءني راكبا رجل، وصلاحية الظرف أن يكون من صفاته: ولذلك لا يجب تقديم الظرف على المنكر إذا كان موصوفا.

ونظير قولنا: أنا عرفت، في اعتبار الابتداء، لكن على سبيل القطع قولك: زيد عرفت، أو عرفته، وفي اعتبار التقديم: زيدًا عرفت الرفع يفيد تحقيق إنك عرفت زيدًا، والنصب يفيد إنك خصصت زيدًا بالعرفان، وأما زيدًا عرفته فأنت بالخيار إن شئت قدرت المفسر قبل المنصوب، على نحو: عرفت زيدًا عرفته، وحملته على باب التأكيد، وإن شئت قدرته بعده على نحو: زيدًا عرفت عرفته، وحملته على باب التخصيص"[1]

2-5 التقديم والتأخير مع الفعل:

وأمّا اعتبار التقديم والتأخير مع الفعل فعلى ثلاثة أنواع:

أحدهما: أن يقع بين الفعل وبين ما هو فاعل له معنى، كنحو: أنا عرفت، وأنت عرفت، وهو عرف، دون زيد عرف.

وثانيها: أن يقع بينه وبين غير ذلك، كنحو: زيدًا عرفت، ودر هما أعطيتُ، وعمرًا منطلقا علمت.

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص219-223

وثالثها: أن يقع بين ما يتصل به، كنحو: عرف زيدٌ عمرًا، وعرف عمرًا زيدٌ، وعلمت زيدًا منطلقا، وعلمت منطلقا زيدًا، وكسوت عمرًا جبة، وجبة عمرًا، ولكل منها حالة تقتضيه

النوع الأول: فالحالة المقتضية هي أن يكون هناك وجود فعل وعالم به لكنه مخطىء في فاعله أو في تفصيله، وأنت تقصد أن ترده إلى الصواب، كما تقول: أنا سعيت في حاجتك أنا كفيت مهمتك ، تريد دعوى[1] الانفراد بذلك وتقريرًا للاستبداد، وترد بذلك على من زعم أنّ ذلك كان من غيرك، أو أنّ غيرك فعل فيه ما فعلت، ولذلك إذا أردت التأكيد قلت للزاعم في الوجه الأوّل أنا كفيت مهمك لا عمرو، أو لا غيري، وفي الوجه الثاني: أنا كفيت مهمك وحدي، وقولهم في المثال: أتُعلمُني بضّب أنا حرشتُه؟ شاهد صدق على ما ذكر عند من له ذوق، وليس إذا قلت: سعيت في حاجتك، أو سعيت أنا في حاجتك، يجب أن يكون أنّ عند السامع وجود سعي في حاجته، قد وقع خطأ منه في موجده أو تفصيله، فتقصد إزالة الخطأ.

وكذلك يستهجن أن يقال في النفي عند التقديم: ما أنا رأيتُ أحدا من الناس أو ما رأيت أنا أحدا من الناس (هنا يفيد التقوية)، ويحترز أن يقال عند التقديم: ما أنا ضربت إلاّ زيدًا لأن نقض النفي بإلاّ يقتضي أن تكون ضربت زيدًا، وتقديمك ضميرك وإيلاءه حرف النفي يقتضي نفي[2] أن تكون ضربته ، ولا يحترز أن يقال : ما ضربت إلاّ زيدًا وما ضربت أنا إلا زيدًا (التأكيد وتقوية المعنى).

النوع الثاني: أن يكون هناك من اعتقد أنك عرفت انسانا وأصاب لكن أخطأ، فاعتقد ذلك الإنسان غير زيد، وأنت تقصد ردّه إلى الصواب، فتقول: زيدًا عرفت؛ وإذا قصدت التأكيد والتقرير، قلت: زيدًا عرفت لا غيره، ولذلك نهوا أن يقال: ما زيدًا ضربت ولا أحدًا من الناس ناهيهم أن يقال: ما أنا ضربت زيدًا، ولا أحد غيري، والنهي الواقع مقصور على الحالة المذكورة، أمّا إذا ظنّ بك القائل ظنا فاسدًا إنك تعتقده قد ضرب عمرًا، أو أنك تعتقد كون زيد مضروبا لغيره، ثم قال لك مدعيا في الصورة الأولى: زيدًا ضربت، وفي الثانية: أنا ضربت زيدًا، فيصح منك أن تقول: ما زيدًا ضربت ولا أحدًا من الناس، أو ما أنت ضربت زيدًا ولا

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص231

[2] المصدر نفسه، ص232.

أحد غيرك؛ فتأمّل! فالفرق واضح، وكذلك امتنعوا أن يقال: ما زيدًا ضربت، ولكن أكرمته فتعقب الفعل المنفي بإثبات فعل هو ضده، لأنّ مبنى الكلام ليس على أنّ الخطأ وقع في الضرب فيرد إلى الصواب في الإكرام، وإنما مبناه على أنّ الخطأ وقع في المضروب حين اعتقد زيدًا فتردّه إلى الصواب أن تقول: ولكن عمرًا ، وكذلك إذا قلت : بزيد مررت ، أفاد أنّ سامعك كان يعتقد مرورك بغير زيد ، فأزلت عنه الخطأ مخصصا مرورك بزيد دون غيره والتخصيص لازم للتقديم ، ولذلك تسمع أئمة العلم المعاني في معنى: " إيّاك نعبد وإيّاك نستعين" يقولون : نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك ، ونخصك بالاستعانة منك لا نستعين أحدًا سواك ؛ وفي معنى : "إن كنتم إياه تعبدون" يقولون : إن كنتم تخصونه بالعبادة[1].

النوع الثالث:

والحالة المقتضية هي كون العناية بما يقدم أتم، وإيراده في الذكر أهم؛ والعناية التامة بتقديم ما يقدم، والاهتمام بشأنه نوعان:

أحدهما: أن يكون أصل الكلام في ذلك هو التقديم، ولا يكون في مقتضى الحال ما يدعو إلى العدول عنه، كالمبتدأ المعروف، فإن أصله التقديم على الخبر، نحو: زيد عارف، وكذا الحال المعرف فأصله التقديم على الحال، نحو: جاء زيدًا راكبا، وكالعامل فاصله التقدم على معموله، نحو: عرف زيد عمرًا، وكان زيد عارفا، وإن زيدًا عارف، ومن زيد ، وغلام عُمرو؛ وكالفاعل فأصله التقدم على المفعولات، وما يشبهها من: الحال والتمييز، نحو: ضرب زيدٌ الجاني بالسوط يوم الجمعة أمام بكر ضربًا شديدًا تأديبًا له ممتلئاً من الغضب و امتلاء الإناء ماء، وكالذي يكون في حكم المبتدأ من مفعولي باب: أعطيت وكسوت، نحو: أعطيت زيدًا درهما، وكسوت عمرًا جبةً، فزيد عاط وعمرو مكتس فحقهما التقدم على غيرهما: وكالمفعول المتعدى إليه بغير وساطة فأصله التقدم على المتعدى إليه بوساطة، نحو: ضربت الجاني بالسوط ، وكالتوابع فأصلها أن تذكر مع المتبوع فلا يقدم عليها غيرها، نحو:

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص233-234.

جاء زيدٌ الطويل راكبا، وعرفت أنا زيدًا، وكذا: عرفت أنا وفلانُ زيدًا، وغير ذلك مما عرف له في علم النحو موضع من الكلام بوصف الأصالة بالإطلاق[1].

وثانيهما: أن تكون العناية بتقديمه، والاهتمام بشأنه، لكونه في نفسه نصب عينك، وأنّ إلتفات الخاطر إليه في التزايد، كما تجدك إذا وارى قناعُ الهجر وجه من رُوحك في خدمته وقيل لك: ما الذي تتمنى؟ تقول: وجه الحبيب أتمنى فتقدم، أو كما تجدك إذا قال أحد عرفتُ شركاء الله، يقف شعرك فزعًا، وتقول: الله شركاء؟[2].

من خلال ما سبق أستخلص أنّ السكاكي يرى أنّ القصد في الجملة إفادة التجددّ دون الثبوت، فيجعل المسند فعلا ومقدما على ما يسند إليه في الدرجة الأولى كقولك: أنا فعلت وأنت فعلت هنا الفعل يستند إلى ما بعده من الضمير.

كما يأتي الكلام على الظاهر المعتاد وهو: "أنا" المبتدأ و "فعلت" الخبر، ثم اشترط في إفادة تقديم المنكر التخصيص أن لا يمنع من التخصيص ماتع، فالسكاكي لا يعول على النفي تقدم أو تأخر، وإنما يعول على أنّ المقدم في الأصل كان فاعلا في المعنى وأخر لإفادة التخصيص، والتخصيص يعني أنّ المسند إليه قد يقدم ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي يشترط أن يكون مسبوقا بحرف نفي نحو قولك: "ما أنا قلت هذا" فهذا التقديم يفيد أن القول ثابت، ولا بد أن أحدًا قال هذا القول وأنت تنفيه عن نفسك وتثبته لغيرك.

وخلال بحثنا في التقديم والتأخير عند الجرجاني والسكاكي توصلنا إلى أنّ القدماء لم يهتموا بهذا الفن الجميل فقصروا أثره وبلاغته على العناية والاهتمام بالمقدم دون تبيين سبب الاهتمام، كما أنّ كثيرا من المراجع البلاغية الحديثة أصبحت تكرر الصورة التي ظهر بها مبحث التقديم والتأخير عند الجرجاني والسكاكي أو غيرهما دون أدنى تغيير أو تطوير بل تكرر الأمثلة ذاتها التي وضعت في تلك المصادر.

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ، ص236.

[2] المصدر نفسه، ص237.

المبحث الثالث:

نظرية النظم

1- منابع فكرة النظم

2- النظم عند الجرجاني

إنّ نظرية النظم من أهم النظريات في البلاغة العربية، ففي مبحثنا هذا سوف نتحدث عن منابع هذه الفكرة وإرهاصاتها، ونتحدث أيضا عن نظرية النظم عند الجرجاني لكن سوف نتطرق أولاً لمعرفة منابع هذه الفكرة.

1- منابع فكرة النظم:

سبق ولادة نظرية النظم إرهاصات ومقدّمات، وفتحت الطريق، وأنارت السبيل، ثم كان ميلاد تلك النظرية على يدي الإمام عبد القاهر الجرجاني، فعن طريقه استوت سوقها وتأسست دعائمها وبدت ملامحها.

حيث سنتطرق أولاً إلى الذين درسوا نظرية النظم أو تطرقوا إليها قبل الجرجاني:

1-1 النظم قبل عبد القاهر الجرجاني:

يبدو أن أول إشارة إلى نظرية النظم قد جاءت على يدي ابن المقفع فقد قال "فليعلم الواصفون المخيرون أن أحدّهم، وإن أحسن وأبلغ"[1] ليس زائدا على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتا وزبرجدًا ومرجانا، فنظمه قلائد وسموطا وأكاليل، ووضع كّل فص موضعه، وجمع إلى كل لون شبهه وما يزيده بذلك حسن فسمي بذلك صانعا رفيقا، وكصاغة الذهب والفضة صنعوا منها ما يعجب الناس من الحلي والآنية، وكالنحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيبة، سلكت سبلاً جعلها الله ذللاً، فصار ذلك شفاء وطعاماً وشراباً منسوبا إليها، مذكورا به أمرها وصنعتها، فمن جرى على لسانه كلامٌ يستحسنه أو يستحسن منه فلا يعجبن إعجاب المخترع المبدع فإنه اجتناه كما وصفنا"[2].

ويمكننا تفسير قول المقفع لنظرية النظم فهو شبهها بحبات اللؤلؤ التي يصنعها الصائغ منظمة واضعا كل لون في مكانه المناسب، والأمر نفسه بالنسبة إلى الكلام فمتى كانت الكلمات في موضعها مرتبة ومنظمة كان الكلام مستحسنا من الناس لنظمه ونسقه.

---

[1] أبو محمد بن عبد الله بن المقفع، الأدب الصغير، قرأه وعلق عليه وائل بن حافظ بن خلف، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الإسكندرية ج1 2011، ص22.

[2] المصدر نفسه، ص22

ثم ننتقل بعد ذلك إلى سيبويه (ت 180 هـ):" إلى النظم، فقد قسم الكلام إلى مستقيم ومحال وحسن وقبيح وكان اهتمام سيبويه بنظم الكلام وتنسيق العبارات واضح في مواضع كثيرة من كتابه: فمنها اهتمامه بحروف العطف وأثرها في صحة النظم وفساده"[1].

ويمكننا تفسير وجهة نظر سيبويه من النظم، فالنظم عنده يراعي فيه أحوال النحو فهو يرى أن لكل استعمال معناه، وتغيير ذلك الاستعمال لابد أن ينشأ عنه تغيير للمعنى، وهو لا يبعد في ذلك عن معنى النظم حتى وإن لم يسمه بإسمه.

ثم ورد مصطلح النظم عند الجاحظ (ت 225 هـ) فهو لم يقدم تفسيرا واضحا للنظم، و إنما فهمناه من خلال مذهبه الأدبي الذي يهتم بالصياغة والألفاظ، ويناقش فيها طريقة اختيار الألفاظ، فالغيث والمطر بمعنى واحد[2].

وما يقصده الجاحظ من النظم هنا هو حسن الاختيار سواء كان موسيقيا يقوم على سلامة جرسها أو معجميا يقوم على ألفتها، أو إيحائيا يقوم على أثرها في نفس السامع، وما يمكننا أن نوضحه أكثر هي أن الجاحظ يميل إلى جانب اللفظ، وقد وضح الجاحظ ميله هذا ما كان من صراع بين العرب والاعاجم، فالأعاجم تشيعوا للمعنى، واتجه العرب الى اللفظ وعظموه.

ثم جاء الرماني (ت 386 هـ): فقد أعطّى إشارات وتلميحات عن نظرية النظم، لكنه لم يلج في عمقها، وقال وحسن البيان في الكلام على مراتب فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم، حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس وتقبل البرد، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة"[3]

[1] حاتم الضامن، نظرية النظم تطور وتاريخ، مطبعة دار الحرية، بغداد، 1979، ص08.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص09

[3] المرجع نفسه، ص17

فالرماني هنا يصف لنا أقسام البلاغة، والتي تتمثل في حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ، وتقبل للمعنى له في النفس لم يرد عليها من حسن صورة وطريق الدلالة ثم مراتب البيان، فقد أعتبر الرماني النظم طريقا إلى البلاغة.

وجاء الباقلاني (ت 403 هـ): "فذكره قريب مما ذكره الجاحظ والرّماني، وقد رأى بان النظم وجه من ثلاث أوجه لإعجاز القرآن، فالوجه الأول ما تضمنه القرآن من الاخبار عن الغيوب، والوجه الثاني أنه أتى يجمل ما وقع وحدث من عظميات الأمور ومهمات السير والوجه الثالث أنه بديع النظم عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه"[1].

ويمكننا أن نفسر قولنا في أنّ الباقلاني يهتم بالألفاظ بقدر اهتمامه بالمعاني، فكلاهما من عناصر الأسلوب تجمعهما وحدة عضوية داخل النظم، فقد ارتضى الباقلاني بالنظم على أنه وجه للإعجاز القرآني.

والآن سنبرز أهم الروافد التي أستمد منها عبد القاهر الجرجاني فكرة نظرية النظم والمتمثلة في:

1-اطلاعه على أهم الكتب التي تدرس قضية الإعجاز، حيث آخذ ما رآه متفقا مع أصول نظريته وأضاف إليه الكثير مما جعله بحق صاحبه هذه النظرية.

2-ثقافة عبد القاهر النحوية وإمامته لهذا العلم.

3-توجهه النقدي فقد كان أديبا ناقدا اطلع على ما كتبه النقاد قبله وهضمه ووقف على الصّراع المحتدم بين أنصار اللفظ والمعنى[2].

ويمكننا أن نقول بأنّ الجرجاني ومن خلال الروافد التي استمد منها فكرته ساعدته على تأسيس ونبوع هذه الفكرة خاصة من خلال اطلاعه على الكتب التي تناولت مواضيع أفادته

[1] محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر القاسم القاضي أبوبكر الباقلاني البصري، إعجاز القرآن، ت: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5 1997، ص403

[2] ينظر: عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز، ص93

في زيارة رصيده، ضف إلى ذلك ثقافته الواسعة والصراع الذي جرى بين أنصار اللفظ والمعنى الذي سنتطرق إليه فيما بعد.

أما الدّوافع التي أدت إلى نشأة فكرة النظم قبل عبد القاهر الجرجاني وكان لها تأثير عليها هي: "ذلك الصراع الذي أثاره امتزاج الثقافات، وتعصب حملته اليونانية لفلسفة اليونان ومنطقهم، ودفاع حملة عربية عن[1] تراثهم وثقافتهم ومنها الثقافة النحوية، ومن مظاهر هذا الصراع، تلك المناظرة الحادة التي جرت بين "متى بن يونس" في مجلس الوزير أبي فتح الفضل بن جعفر بن الفرات فقد أراد الأول ان ينتصر بالنحو، أما الثاني فقد اراد أن ينتصر للمنطق، و نقصد بذلك أنّ "متى بن يونس" ذهب إلى أنّ المنطق ميدانه المعنى و النحو ميدانه اللفظ.

فكان "السيرافي" قد دافع عن النحو العربي دفاعا قويا و مما جاء على لسان السيرافي عن معاني النحو:" معاني النحو مقسمة بين حركات اللفظ و سكناته، بين وضع الحروف في موضعها المقتضية لها بين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصوّاب في ذلك وتجنب خطأ ذلك..."[2].

ويمكننا تفسير وجهة نظر السيرافي حيث يعتبر بأنّ النظم والإعراب هما اللذان يحددان صحيح الكلام من سقيمه، وقد اعتبر بأنّ المنطق لا يسعفنا في معرفة جوهر الموزون أو خصائصه أو صفاته.

حيث يبين من قوله بأنّ النظم هو توخي معاني النحو وأحكامه، ووجهه وفروقه في ما بين معاني الكلم لأنّ النحو قصد والقصد معنى، والمقاصد معان.

كما أشار أيضا إلى أن المنطق اليوناني ينبغي أن يبقى مقصورا على ما أنتجه وشكله.

" وكذلك يمكننا القول أنّ ما مهد لفكرة نظرية النظم هي منذ ظهور الإلحاد في القرن الأول للهجرة ثم أصبح ظاهرة خطيرة على المجتمع الإسلامي ألا وهي: التشكيك في القرآن

[1] سلطان منير، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط3، 1986، ص47.

[2] المرجع نفسه ،ص47.

وفي اعجازه فعلى الرغم من الجهود التي بذلت في إرساء القواعد التي يقف عليها الإعجاز حيث يرى "الجرجاني" بأن الإعجاز لا يمكن في اللفظ وحده و لا في المعنى وحده، و إنما يكمن الاعجاز في النظم[1].

وهنا الجرجاني يوضح لنا مدى دور النظم في فهم المعاني والألفاظ وتراكيبها ووضعها في موضعها الخاص، حيث أنّ القرآن الكريم ألفاظه وتراكيبه منتظمة ولا يمكننا أن نشكك في القرآن الكريم وفي إعجازه.

بالإضافة إلى الخلاف الذي نشأ بين النحويين، والتي كنت بدايته بسبب فتح الباب لتجويد القراءات التي لم تشملها القواعد البصرية الأولى. ويمكننا أن نفسر بأنّ هذا الخلاف أدّى إلى التركيز على المسائل النحوية حيث أصبح للنحو علماؤه المتخصصون ومدارسه المتخصصة.

وقد نتج عن ذلك تفرع في المسائل كثيرة في ميدان النحو و الصرف.[2]

ويمكن أن نوضح في هذه النقطة علما أنّ تلك الخلافات أدت كذلك إلى أن البلاغة العربية انفصلت عن النحو أيضا وتحولت إلى تقسيمات وتعريفات وحدود بعيدة عن النصوص اللغوية مما أدى بذلك الى الزهد في النحو والابعاد عنه.

كما أنّ عبد القاهر الجرجاني استهل بمجموعة من المفاهيم المتعلقة بفكرة النظم، وهذه المفاهيم متمثلة في "اللغة والفكر" حيث يحاول من خلالها إبراز دور التفكير في نشوء اللغة "المعنى واللفظ" حيث اتخذها وسيلة لإثبات إعجاز القرآن من طرق الفرق الكلامية خاصة المعتزلة والأشاعرة.

---

[1] أحمد سيد محمد عمار، نظرية الإعجاز القرآني وأثارها في النقد العربي القديم، دار الفكر للمعاصر، بيروت، لبنان، ط1،1998 ص58.

[2] ينظر: أحمد شامية، خصائص العربية والإعجاز القرآني في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية، ديوان المطبوعات الجامعية،1955، ص126.

"الكلمة والنظام" حيث يحدد قيمة الكلمة وفصاحتها في التركيب عن طريق مكانها في الجملة. ولدينا كذلك مفاهيم أخرى متمثلة في : "النظم و المعنى" و" الفصاحة و البلاغة" .[1]

ويمكننا أن نقول بأنّ كل النقاط التي ذكرناها سابقا كانت البدايات الأولى لظهور فكرة النظم، والأسباب التي أدت الى تطوير هذه الفكرة، حيث اتسعت نظرية النظم من خلال دراسات النحويين والبلاغيين لها وقد اتسعت دراساتها أكثر عند ارتباطها بقضية الإعجاز.

فبعد أن تحدثنا عن منابع فكرة النظم، حيث تحدثنا عن بعض النقاط في نشوء هذه الفكرة سننتقل إلى النظم عند الجرجاني.

2-النظم عند الجرجاني:

" إنّ عبد القاهر الجرجاني في كتابه تناول العديد من النقاط المفصلة حول نظرية النظم حيث أنّه فرق بين "حروف منظومة" و"كلم منظوم"

وذلك أنّ "نظم الحروف" هو تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، فمثلا واضع اللغة قال "ربض" مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد، أما "نظم الكلم" فليس فيه الأمر كذلك، لأنها ترتب على حسب المعاني في النفس فهو تعتبره حال المنظوم بعضه إلى بعض، وليس هو "النظم" الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق.

والفائدة من معرفتنا لهذا الفرق، هي أنّه ليس الغرض بنظم الكلم، أن توالت ألفاظها في النطق، بل تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل."[2]

ودليل أخر هو أنّه لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم النطق بالألفاظ على حذوها لكان ينبغي أن لا يختلف حال إثنين في

[1] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص42.

[2] المصدر نفسه، ص49-50.

العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه، لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساسا واحدًا، ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا يجهله الآخر[1].

وقد عرف عبد القاهر الجرجاني النظم أنّه:

"تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض كما يجعل وجوه التعلق ثلاثة: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما.

كما أنّ النظم هو أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك"[2].

فمدار النظم عند عبد القاهر الجرجاني هو معاني النحو، وعلى الوجوه التي من شأنها أن تكون فيه، ولا معنى النظم عنده إلّا توخي معاني النحو فيما بين الكم.

" وذلك أننا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في "الخبر" إلى الوجوه التي تراها في قولنا: زيدٌ منطلقٌ و "زيد ينطلق" و "ينطلق زيد" و "منطلق زيد" و "زيد المنطلق" و "المنطلق زيدٌ" و "زيد هو المنطلق" و "زيد هو منطلق".

وفي "الشرط والجزاء" إلى الوجوه التي تراها في قولنا: "إن تخرج أخرج" و "إن خرجت خرجتُ" و "إن تخرج فأنا خارج" و "أنا خارج إن خرجت" و "أنا إن خرجت خارج".

" وفي "الحال" إلى الوجوه التي تراها في قولنا "جاءني زيد مسرعا وجاءني يسرع وجاءني وهو مسرع أو هو يسرع وجاءني قد أسرع وجاءني وقد أسرع"[3].

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص51.

[2] المصدر نفسه، ص81.

[3] المصدر نفسه، ص82.

"فلا معنى للنظم غير توخي معاني النحو وأحكامه، فإنك إن عمدت إلى ألفاظ فجعلت تتبع بعضها بعضا من غير أن تتوخى فيها معاني النحو لم تكن صنعت شيئا تدعى به مؤلفا.

وينظر كذلك في "الحروف" التي تشترك في المعنى، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه مثل ما في نفي الحال بـ لا نفي الاستقبال وبـ إنّ فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون.

"وينظر كذلك في الجمل التي تسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع "الواو" من موضع "الفاء" وموضع 'الفاء" من موضع "ثم" وموضع "أو" من موضع "أم" وموضع "لكن" من موضع "بل"[1].

وقد ركز عبد القاهر الجرجاني في نظريته على أهمية علاقة المعاني والألفاظ بالنظم حيث يقول:" إنّه لا يتصور أن تعرف اللفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي وألفاظا ترتيبا ونظما، وأنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هنا فإذا تم لك ذلك اتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرًا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدمٌ للمعاني وتابعة لها ولاحقه بها، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق[2].

" كما أنّه يتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار فيصيب بكل من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له"[3]

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص82.

[2] المصدر نفسه، ص54.

[3] الصدر نفسه، ص52.

فما يثير انتباه القارئ لكتاب دلائل الإعجاز أن يلمس في عبارته تناغما بين الكلمات في التركيب ترتيبا وتأليفا فالنظم في سياقه اللغوي يظل مسعى لابد من تحقيقه في النص وهو بدوره انطلق من المعنى مرورًا بالشكل ليولي بذلك المعنى العناية القصوى.

"هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى "النظم" ويدخل تحت هذا الاسم، إلاَّ وهو معنى معاني النحو قد أصيب به موضعه، و وضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وُصف بصحة نظم أو فساده"[1]. أي أنك تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه.

فهو في اللفظ لم يتحيّز للمعنى كليا وإنما كان يعتقد بتلازمها نظرًا لطبيعة الوظيفة الدلالية التي يقدمها للكشف عن الصورة داخل النص.

" كما جعل مراعاة السياق من شروط فصاحة الكلام وبيانه، إذ اللفظة التي توضع في سياقها التي جعلت لأجله وكانت متفقة ومرتبة مع ما سبقتها من ألفاظ وما يلحقها وتؤدي فائدة دلالية في الكلام.

وتكلم عبد القاهر أيضا على ما يسمى بمعنى المعنى إذ يقول "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده"[2].

والمقصود بمعنى المعنى أن تعقل في اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر.

ومما سبق نستخلص أن نظرية النظم في البلاغة هي نظرية شاملة لعلم النحو والبلاغة، فقد استطاع عبد القاهر في نظريته أن يؤسس لبلاغة جديدة بعيدة عن رتابة المنطق والتعقيد.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص76.

[2] المصدر نفسه، ص53.

إنّ انطلاق عبد القاهر الجرجاني من مسألة إعجاز القرآن مكنته من الإبانة على الكثير من مواطن جماليات النظم والتأليف القرآني وقد تجاوز الكثير من أقوال النحاة وتعليلاتهم في مجال إعجاز القرآن لأنها لا تكتفي لبيان حقيقة الإعجاز والنظم عنده هو مناط الإعجاز.

الفصل الثاني:

جماليات التقديم والتأخير البلاغية في القرآن الكريم – سورة الأعراف أنموذجا–

1- الخطاب المكي والخطاب المدني
2- التعريف بالسورة وعدد آياتها
3- التقديم والتأخير في سورة الأعراف وآثره البلاغي والجمالي

نحاول في هذا الفصّل من البحث أن ندرس التقديم والتأخير كظاهرة بلاغية ولمسة جمالية تتمة لما نظرنا له في الفصل الأول، والقرآن العظيم هو أول قضية لغوية وأبلغ شاهد عليها في ذلك الوقت، ذلك أنّه أبلغ نص عربي على الإطلاق، لذلك هو أولى بالتطبيق وأجدر بالدراسة، قد اخترنا سورة الأعراف أنموذجا للدراسة، فاستخرجنا منها مواضع التقديم والتأخير في دراسة تطبيقية مفصلة، وينبغي أن ننبه بأنّ للتقديم والتأخير كلمسة بلاغية مقصدًا واحدًا يتدرج تحته كل تقديم وتأخير وهو أنّ التقديم يكون في حق ما قصد المتكلم التركيز عليه وأنه يقصده هو، وهو ما يعرف بالتخصيص ولكن هذا لا يمنع أن يفيد معاني أو آثار بلاغية أو جمالية أخرى تتحدد حسب السياق التي ترد فيه، والذي سنراه من خلال التطبيق.

وسوف نتطرق أولاً في هذا الفصل إلى الحديث عن الخطاب المكي والخطاب المدني والتعريف بسورة الأعراف وعدد آياتها، وفي الأخير سنتطرق إلى الجانب التطبيقي للسورة من خلال بيان آثرها الجمالي والبلاغي وذكر مواضع التقديم والتأخير فيها.

1- الخطاب المكي والخطاب المدني:

قبل خوضنا في الحديث عن الخطاب المكي والمدني يجب أن نعرض أولاً مفهوم المكي والمدني، حيث وضع أهل العلم ثلاثة مصطلحات للتعريف بهاذين المصطلحين هناك من جعله باعتبار الزمان، واعتبره آخرون بحسب المكان، وفريقا ثالثا جعلوه باعتبار المخاطب.

"**الاصطلاح الأول:** أنّ المكي ما نزل في مكة والمدني ما نزل بالمدينة.

الاصطلاح الثاني: أنّ المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة.

الاصطلاح الثالث: أنّ المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة، لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخوطبوا بـ"أيُهّا النّاس"، وكان الغالب على اهل المدينة الإيمان فخوطبوا بـ "يأيُهّا الذين آمنوا"[1].

ويمكننا أن نشرح ونفصل في هذه النقطة فمثلا في سورة البقرة فهي مدنية إلا آية واحدة وهي: "وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ"[2]، وهذه الآية نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى، غير أنّ نزولها هناك لا يعني خروجها عن المدني بالاصطلاح الثاني أنّ ما نزل بعد الهجرة مدني سواء كان بالمدينة أو غيرها[3].

---

[1] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن ت. أبي الفضل التمياطي، دار الحديث للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2006 ص132.

[2] سورة البقرة، الآية 281.

[3] ينظر: عبد الرزاق حسين احمد، المكي والمدني في القرآن الكريم، دار ابن عفان للنشر، القاهرة، ط1، مجلد1، 1999، ص55.

ويمكن أن نستنتج مما ذكرناه بأنّ كل سورة فيها "يَا أَيُّهَا النَّاسُ" فهي مكية، وكل سورة فيها "يأيُهّا الذين آمنوا" فهي مدنية.

حيث قال هشام عن أبيه: كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنية، وكل ما كان فيه ذكر القرون الماضية فهي مكية.

وقال الجعبري: لمعرفة المكي والمدني طريقان: "سماعي وقياسي" فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما، والقياسي قال علقمة عن عبد الله بأنّ كل سورة فيها "كلّا"، وكل سورة أفتتحت بالأحرف المقطعة (حروف التهجي) فهي مكية، ويستثنى من ذلك سورة البقرة وآل عمران فهما مدنيان بالإجماع[1].

بالإضافة إلى أنّ كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية.

كما أنّ السور والآيات المكية كانت بعامتها قصيرة وشديدة في الأسلوب، على عكس الآيات والسور المدنية، فكانت طويلة ذات أسلوب لين، ضف إلى ذلك أنه في السور المكية تضمنت الوعد والوعيد، والتوبيخ، ولهذا كان الخطاب فيها بـ " أَيُّهَا النَّاسُ" في حين امتازت السور المكية بالحديث عن التشريعات في كافة المجالات.

كثر الحديث في السور المكية، عن الأمم السابقة، وأحوالها مع أنبيائها، في حيث كثر الحديث في السور المدنية عن محاجة أهل الكتاب، والمنافقين، ضف إلى ذلك في القرآن المكي يذكر فيه تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسّلم ودعوته إلى الصبر وتحمل أذى

[1] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص133.

المشركين، أمّا المدني فيذكر فيها شؤون الحكم والشورى وضرورة الرجوع فيها إلى الكتاب والسنة[1].

فمثلا سورة الأعراف هي مكية إلا ثلاث آيات قوله تعالى: " وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ" إلى قوله: " وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ''[2] وسورة التوبة مدنية غير آيتين قوله تعالى: "لقد جاءكم"[3] إلى آخر السورة.

كما أنّ هناك فوائد من معرفة المكي والمدني تتمثل في معرفة وتمييز الناسخ من المنسوخ، لنأخذ بالحكم الناسخ وتترك الحكم المنسوخ، فالمدني ينسخ المكي نظراً لتأخر القرآن المدني عن المكّي.

ومن فوائده أيضا الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم، إذ أنّ معرفة مكان نزول الآية تتعين على فهم المراد بالآية ومعرفة مدلولاتها، وما يراد فيها.

واستخراج سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بمتابعة أحواله بمكة المكرمة ومواقفه في الدعوة، ثم أحواله في المدينة وسيرته في الدعوة إلى الله فيها[4].

ويمكننا القول إنّ معرفتنا للمكي والمدني، يؤكد لنا بوصول القرآن الكريم إلينا سالماً من التغيير والتحريف، كما أنها فوائد يستطيع أن يستفيد منها كل من أراد الخوض في مجال التفسير وعلوم القرآن.

ويمكننا الحديث أيضا عن عدد سور القرآن الكريم والتي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص133.

[2] سورة الأعراف، الآية 163–171.

[3] سورة التوبة، الآية 168–169.

[4] ينظر: عبد الرزاق حسين أحمد، المكي والمدني في القرآن الكريم، ص135–136.

1–**"القسم الأول:** السور التي أجمع العلماء على أنها مدنية والتي يبلغ عددها عشرون سورة (20 سورة) ونذكر منها البقرة، آل عمران، الأنفال، النساء، التوبة، الرحمان الحديد، المنافقون.

2–**القسم الثاني:** هي السور التي اختلف العلماء في تصنيفها، منهم من صنفها ضمن السور المكية، ومنهم من صنفها ضمن السور المدنية ويبلغ عددها اثنتي عشر سورة (12 سورة) ونذكر منها: الفاتحة، الرعد، المطففين، القدر، الزلزلة، الرحمان، التغابن الإخلاص، الفلق، الناس.

3–**القسم الثالث:** هي السور التي أجمع العلماء على أنها مكية، ويبلغ عددها اثنين و ثمانون سورة (82 سورة) ونذكر منها : الأنعام، الأعراف، يونس، يوسف، إبراهيم الكهف، مريم، المؤمنون"[1].

ويمكننا أن نستنتج من خلال ما ذكرناه سابقا، أنه يمكننا التمييز بين المكي والمدني عن طريق النظر والاجتهاد، ودون الرجوع إلى المفسرين والعلماء في ذلك، فمثلا عند قراءتنا لسورة البقرة نطلع على ما تجمع فيه من أحكام الصيام والحج والنكاح والطلاق وما في آياتها الطويلة من لين وهدوء، لتعلم أنها سورة مدنية، ولقد استفدنا كثيرا من خلال بحثنا ودراستنا لهذا الجانب من الموضوع، ومعرفتنا للمكي والمدني أكثر.

2– التعريف بالسورة:

لقد ورد في "تفسير التحرير والتنوير" لابن عاشور، تعريفا شاملا لكل ما تحتويه سورة الأعراف نذكر منها:

[1] جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، الاتقان في علوم القرآن، دار عالم الكتب للنشر، بيروت، ط1، ج1 1974، ص14

أ– معنى سورة الأعراف:

وهو الاسم الذي عُرفت به السورة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ووجه تسميتها أنها ذكر فيها لفظ الأعراف بقوله تعالى:" وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ"[1]، و هي السورة السابعة في ترتيب القرآن الكريم و تدعى بأسماء الحروف المقطعة التي في أولها وهي (ألف – لام – ميم – صاد) كما أنها مكية بلا خلاف، وهي من السبع الطوال التي جعلت في أول القرآن لطولها وهي سور: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة الأنعام، الأعراف، وهي على ترتيب المصحف العثماني اعتبارا بأنّ سورة الأنعام أنزلت بمكة بعد سورة الأعراف فهي أقرب إلى المدني من السور الطوال، وهي معدودة التاسعة والثلاثين في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد عن ابن عباس، نزلت بعد سورة (ص) وقبل سورة (الجن)[2].

كما تكمن أغراضها فيما يلي:

النهي عن اتخاذ الشركاء من دون الله.

- تذكير الناس بنعمة خلق الأرض وتمكين النوع الإنساني من خيرات الأرض وبنعمة الله على هذا النوع بخلق أصله وتفضيله.
- التذكير بالبعث وتقريب دليله.

و لها فضل كبير على القارئ : قال رسول البشرية محمد صلى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه و بين إبليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة"[3].

---

[1] سورة الأعراف ، الآية 46.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس 1984، ص 5–6–7–8

[3] بهجت عبد الواحد شيخلي، بلاغة القران الكريم في الاعجاز، اعرابا وتفسيرا بإيجاز، ط، عمان، ص 455.

- فالأعراف جمع عرف: ويقصد بها الريح العاصفة ذات الصوت الشديد وقيل العرف هو الشعر النابت في محدب رقبة الفرس وغيرها من التعاريف.

عدد آياتها: عدد آيات سورة الأعراف –206– آية في عهد أهل المدينة والكوفة، و205 في عهد أهل الشام والبصرة، قال في الاتقان وقيل –207–.

3– التقديم والتأخير في سورة الأعراف آثره البلاغي والجمالي:

سنتطرق من خلال هذا العنوان إلى دراسة بعض الآيات من سورة الأعراف، وذلك من خلال تفسيرها وبيان أوجه التقديم والتأخير فيها، والأثر البلاغي والجمالي التي تنتجه هذه الظاهرة، أي ظاهرة التقديم والتأخير.

ولقد تطرقنا إلى مجموعة من التفاسير والتي ساعدتنا في دراستنا لهذه الآيات، وإبراز مختلف أوجه البلاغة فيها.

قال الله تعالى: " وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ"[1]

"أي بين الجنة والنار حجاب فاصل، أو بين أهل الجنة وأهل النار حجاب وهو السّور المضروب بين الفريقين، وضمير (بينهما) يعود إلى لفظي الجنة والنار الواقعين في قوله "ونادوا أصحاب الجنة أصحاب النار" وهما اسما مكان.

وأعاليه الأعراف مفردها "عرف" وهو أعلى الشيء كعرف الفردوس وعرف الّديك.

[1] سورة الأعراف ، الآية 46.

أي أنّنا يمكننا القول على هذا السور رجال من المسلمين قصرت بهم أعمالهم من دخول الجنة، مع السابقين أرجأهم الله لأمره ، وهم يطمعون أن يدخلوا الجنة برحمة الله"[1].

ويمكن أن نبرز رأينا باختصار، فالله عز وجل في هذه الآية يخاطب أهل الجنة معّ أهل النار، نبّه أنّ بين الجنة والنار حجابا، وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة.

"أمّا ظاهرة التقديم والتأخير في هذه الآية في قوله تعالى "وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ" تأخير للمبتدأين "حجاب" و"رجال" عن خبريهما "مضروب" و"موجود" المحذوفين المتعلقين بشبهي الجملة "بينهما" وعلى الأعراف تأخيرا واجبا لورود المبتدأين نكرة، وتعلق الخبرين بشبيهي الجملة من ظرفية الجار والمجرور"[2].

أما بالنسبة للأثر البلاغي والجمالي في هذه الآية، أو يمكن القول الأثر التي تركته ظاهرة التقديم والتأخير هي التنبيه والتنويه والمناسبة ذلك أنّ الله جلّ جلاله ذكر قبل ذلك خطاب أهل الجنّة لأهل النّار، تناسب أن يذكر مكان الحجاب الفاصل بينهما، قبل ذكر الحجاب ذاته، وهو بين الجنة والنّار، وتعاقب الأماكن أنسب من الفصل بينهما، ولمّا كان الأمر كذلك قدّم على الأعراف على مبتدئها وهو "رجال" تنويها بمكانهم وتنبيها لمقامهم. [3]

[1] الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، تفسير التحرير والتنوير، ص 140

[2] أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، لبنان ط03، 2009، ص 445

[3] ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 142.

والآن سننتقل إلى آية أخرى قال الله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِين)[1].

"جاءت أغراض هذه السورة متناسبة ومتماسكة، فإنّها ابتدأت بذكر القرآن والأمر باتباعه ونبذ ما يصدّ عنه وهو اتّباع الشّرك ثم التذكير بالأمم التي أعرضت عن طاعة رسول الله، ثم الاستدلال على وحدانية الله، والامتنان بخلق الأرض والتمكين منها.

فالخطاب موجه إلى المشركين، لذلك كان التأكيد بحرف (إنّ) موقعه لرد إنكار المشركين انفراد الله بالربوبية" [2]

ويمكن أن نجمل وجهة نظرنا في هذه الآية على أنّ الله عزّ وجلّ بيده خلق الكائنات ولا خالق سواه، وله فيها الأمر المطلق يقول للشيء كن فيكون، لا يخرج شيء عن أمره ولا يكون شيء إلا بمشيئته.

أمّا ظاهرة التقديم والتأخير في الآية هي تأخير المبتدأ "الخلق" عن خبره المحذوف المتعلّق بالجار والمجرور له جوازا وفي قوله تعالى: "الذي خلق السماوات والأرض" صفة لاسم الجلالة والصّلة مؤذنة بالإيماء إلى وجه بناء الخبر المتقدّم، وهو "إنّ ربكم الله" لأنّ خلق السماوات والأرض يكفيهم دليلا على انفراده بالإلهية. وهذه وجه من أوجه الأثر البلاغي الجمالي في الآية ومن الأثر البلاغي والجمالي أيضا إفادة قصر المسند إليه على المسند[3].

[1] سورة الأعراف ، الآية 54.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 159

[3] ينظر: المصدر نفسه ص 161

"وذلك يظهر في قوله تعالى "إنّ ربكم الله" جعل المسند إليه (ربكم) لأنّ الكلام جار مع من ادعوا أربابا، والمقام للجدال في تعيين ربهم الحق فكان الأهم عند المتكلم من المعرفتين عند المخاطبين: هو تعيين ربهم. فجعل ما يدل على ربهم مسندا إليه، وأخبر عنه بأنّه هو الذي يعلم أنه الله، وأكد هذا الخبر بحرف التوكيد، وإن كان المشركون يثبتون الربوبية لله وحده لا شريك له و المسلمون لا يمترون في ذلك، لتنزيل المشركين من المخاطبين منزلة من يتردد في كون الله ربا لهم لكثرة إعراضهم عنه في عباداتهم و توجهاتهم"[1].

فمحمد ابن عاشور يحاول أن يبرز لنا من خلال تفسيره لهذه الآية إلى تبيان وشرح أوجه هذه الآية بالإضافة إلى بيان مواضع التقديم والتأخير وبيان الأثر البلاغي والجمالي التي تكمن في إبراز وحدة الله عز وجل، وإثبات ربوبيته.

وسننتقل الآن إلى آية أخرى قال الله تعالى: " وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ" [2]

ولقد فسرها السعدي في أنه ذكرهم بما أمتنى الله به عليهم فقال: وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ أي : من فرعون و آلهة يسومونكم سوء العذاب أي يوجهون إليكم من العذاب أسوأه[3].

"وهو أنهم كانوا يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم" النجاة من عذابهم "بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ" أي نعمة جليلة ومنحة جزيلة، أو في ذلك العذاب الصادر منهم لكم

[1] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 161

[2] سورة الأعراف، الآية 141

[3] عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 10 ،2002م، ص 301.

بلاء من ربكم عليكم عظيم، فلما ذكرهم موسى ووعظهم انتهوا عن ذلك". [1]

ويمكن أن نبرز وجهة نظرنا في التفسير لهذه الآية أو من خلال التفسير الذي ذكره السعدي، أنه لما ذكر موسى لقومه نعمة الله عليهم بالتفضيل ذكرهم بها كان واقعا عليهم من قتل أبنائهم واستحياء نسائهن من ختم كلامه بتقريرهم أن ذلك كان بلاء عظيما لمتن الله عليهم برفعه عنهم، ثم يبغون أن يعبدوا ما لا يضرهم ولا ينفعهم.

ويظهر أوجه التقديم و التأخير في الآية من حيث تقديم للخبر المحذوف المتعلق بشبه الجملة "فِى ذَٰلِكُم" على مبتدئها "بلاء" وجوبا، أمّا الأثر البلاغي والجمالي هو التنبيه والمناسبة و يظهر ذلك أنه لما عدد عليهم ما كانوا فيه من أنواع العذاب أشار إلى ذلك جملة بقوله "فِى ذَٰلِكُم"، تنبيها لهم، مناسب أن تتقدم على المبتدأ ليتصل الكلام .[2]

ويمكننا القول بأنّ التقديم والتأخير يترك لنا أثر بلاغي وجمالي وذلك الأثر هو الذي يبرز المعنى أكثر ويبرز الكلام مثل ما ذكرناه في الآية السابقة.

قال الله تعالى: "قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النار كلما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ".[3]

[1] عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 301.

[2] ينظر: محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، ج3، 1981، ص3.

[3] سورة الأعراف، الآية 38

ولقد فسّرها الزمخشري من خلال قوله " قَالَ ادْخُلُوا " أي يقول الله تعالى يوم القيامة لأولئك الذين قال فيهم " فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ "[1] وهم كفار العرب " فِي أُمَم" في موضع الحال أي كائنين في جملة أمم وفي غمارهم مصاحبين له أي ادخلوا في النار مع أمم" قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم" وتقدم زمانهم زمانكم "لَّعَنَتْ أُخْتَهَا" التي ضلت بالإقتداء بها "حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا" أي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار، " قَالَتْ أُخْرَاهُمْ" منزلة وهي الإتباع و السلفة" لِأُولَاهُمْ "منزلة وهي القادة والرؤوس، ومعنى لأولاهم لأجل أولاهم، لأن خطابهم مع الله لا معهم، "عَذَابًا ضِعْفًا" مضاعفا، "لِّكُلٍّ ضِعْفٌ" لأنّ كل من القادة والأتباع كانوا ضالين مضلين «ولكن لَّا تَعْلَمُونَ" قرئ بالياء و التاء".[2]

ونستنتج من خلال تفسير الآية خطاب من الله تعالى إلى كفار هذه الأمة أن يدخلوا النار في جملة الأمم السابقة لهم التي استوجبت النار بكفرها وجحودها، ثم ذكر حالهم وهم يتتابعون في نار جهنم كلما دخلت أمة لعنت سابقتها.

فإذا تلاحقوا فيها جميعاً، دعا ضعفاؤهم وسلفتهم على رؤوسهم وسادتهم، يضاعف الله لهم العذاب، لأنّهم كانوا سبباً في كفرهم، فيجيبهم الله جلا جلاله أنّ لكل منهم نصيبه مضاعفا من العذاب ليزدادوا يأساَ وحزنا، وهذا معنى لعنت أختها أي دعت عليها بالطّرد من رحمة الله ولا يشعرون أنهم كلهم في ذلك سواء.

أما ظاهرة التقديم والتأخير في هذه الآية نجده في قوله تعالى:" قال لكل ضعف" تأخير المبتدأ ضعف عن خبره عامل المحذوف المتعلق بشبه الجملة "لكل" في جملة مقول القول

[1] سورة الأنعام، الآية 37

[2] الزمخشري، الكشاف، ص 363.

وتأخر المبتدأ وجوبا لكونه نكرة وكون الخبر محذوفا متعلقا[1]. وقد نتج عن ذلك أثر بلاغي وجمالي يتمثل في التخصيص فإنّ الله ردّ دعاء بعضهم على بعض بأنّ لكل منهم نصيبه الخاص به من مضاعفة العذاب[2].

قال تعالى: { لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ }[3].

"ولقد فسرها أبي السعود بقوله: " لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ" أي فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم "وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ" أي أغطية والتنوين للبدّل عن الإعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على إلغاء المحذوف " وَكَذَلِكَ" ومثل ذلك الجزاء الشديد " نَجْزِي الظَّالِمِينَ" عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين تارة أخرى إشعاراً بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذلك الوصفين القبيحين، وذكر الجرم مع الحرمان من دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على أنه أعظم الجرائم والجرائر"[4].

ويمكن أن نبرز رأينا من خلال هذا التفسير إلى أنّ "غواش" بالرفع، فهذا يبرز لنا وصف عذاب أهل النار وما هم فيه من النّكال، فإن النّار هي فراشهم وغطائهم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولباسهم النار أي يمكننا القول تغشى وجوههم النّار، والمهاد هو ما يتخذه الإنسان فراشا ووطاء، و الغواشي جمع غاشية أو غشاء وهو الغطاء.

والآن سنبرر ظاهرة التقديم والتأخير في هذه الآية باعتبار أنّ " غَوَاشٍ" بالخفض باعتبار الياء، المحذوفة لكون "غَوَاشٍ" نكرة، وهي بالرفع على لغة من يلزم أواخر الإعراب

---

[1] عبد الرحمان بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص217.

[2] المصدر نفسه، ص218

[3] سورة الأعراف، الآية 41

[4] أبو السعود محمد بن محمد العمادى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ذط1، ج3، 2010 ص228.

الأصلي ولا يعتد بالمحذوفات، ففي قوله تعالى: { لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} تأخير للمبتدأين "مِهَادٌ" وَغَوَاشٍ عن خبريهما المتعلقات بشبهي الجملة "لهم": وَمِنْ فَوْقِهِمْ تأخيرا واجبا، لكن المبتدأين النكرة والخبرين محذوفين متعلقين بشبهي الجملة[1].

أما عن الأثر البلاغي والجمالي فيكمن في التخصيص والتنبيه والتعظيم حيث أنّ الآية تحكي عذاب الكفار وما يختصهم من أنواع العذاب والتنبيه على عظم البلاء والنّكال[2].

وخلاصة هذه الآية هي أنّ هؤلاء الكفار مخلدون في النار، لهم من جهنم فراش من تحتهم، ومن فوقهم أغطية تغشاهم، ويعتبر مثل هذا العقاب الشديد يعاقب به الله تعالى الظالمين الذين تجاوزوا حدوده فكفروا به وعصوه.

قال الله تعالى: {فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ ولكن أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }[3].

ولقد ذهب الزمخشري في تفسيره لهذه الآية من خلال "قوله تعالى:" فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ" وهي من الخصب والرخاء " قَالُوا لَنَا هذه" أي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية، واللام مثلها في قولك " وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ" وهي من ضيقة وجدب " يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ" أي يتطيروا بهم ويتشاءموا، ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم "هذه من عندك"[4]".

[1] ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ص22.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص229

[3] سورة الأعراف، الآية 131.

[4] الزمخشري، الكشاف، ص380.

وذهب في قوله أنّك عند قولك، فإن قلت: كيف قيل؟ " فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ" "بإذا" وتعريف الحسنة " وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ" "بإن" وتنكير السيئة قلت: لأّن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه، وأمّا السيئة فلا تقع إلّا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها، ومنه قول بعضهم "قد عدت أيام البلاء فهل عددت أيام الرخاء"، " طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ" أي بسبب خيرهم وشرهم عند الله، أي أنّ الله عزّ وجلّ بمشيئته وحكمته هو الذي يقرر ما يصيبهم من حسنة أو سيئة[1].

كقوله: "قل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ "[2] ويجوز أن يكون معناه ألا إنما بسبب شئمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عند الذي يجري عليهم ما يسوئهم لأجله، ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله تعالى:" النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا"[3]، ولا طائر أشأم من هذا، وقرأ الحسن " إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ" وهو اسم لجمع طائر غير تكسيره، وعند أبي الحسن هو تكسير"[4].

أمّا تفسير القرطبي هو تقريبا نفس تفسير الزمخشري، أمّا بالنسبة لما استنتجناه من هذه الآية ومن خلال تفسير الزمخشري هي أنّهم إذا جاءهم فرعون وقومه الخصب والرزق، يقولو هذا ما نستحقه، أي أنّ هذه النعمة جاءت بسببنا ولأجلنا مختصة بنا، وإذا أصابهم قحط وجذب يتشاءموا ويقولون هذا بسبب موسى ومن معه، وينكرون بأنّ ما يصيبهم هو بقضاء الله وقدره، وذلك بسبب ذنوبهم وكفرهم، ولكنّ أكثر قوم فرعون لا يعلمون ذلك.

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص380.

[2] سورة النساء، الآية 78.

[3] سورة غافر، الآية 46.

[4] الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 380.

أمّا بالنسبة لظاهرة التقديم والتأخير في هذه الآية تظهر من خلال تقديم للخبر المحذوف المتعلّق بشبه الجملة "لنا" على اسم الإشارة الواقع مبتدأ هذه الواقعة مفعول به[1].

أمّا الأثر البلاغي والجمالي فيظهر من خلال دلالتها على الاختصاص والاستئثار ضف إلى ذلك تنبيه للأمة للنظر فيما يحيط بها من دلائل غضب الله فإن سلب النعمة للمنعم عليهم تنبيه لهم على استحقاقهم إعراض الله تعالى عنهم[2].

وسننتقل إلى آية أخرى في قوله تعالى: {وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}[3].

ولقد ذهب في تفسيرها السعدي من خلال قوله تعالى "وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ" ففسرها على أنه سكن غضبه وتراجعت نفسه، وعرف ما هو فيه، اشتغل بأهم الأشياء عنده " أَخَذَ الْأَلْوَاحَ"، وهي ألواح عظيمة وجليلة،" وَفِي نُسْخَتِهَا" أي مشتملة ومتضمنة " هُدًى وَرَحْمَةٌ" أي فيها الهدى من الضلالة، وبيان الحق من الباطل، وأعمال الخير وأعمال الشر والهدى لأحسن الاعمال والأخلاق، والآداب ورحمة وسعادة لمن عمل بها، وعلم أحكامهما ومعانيها، ولكن ليس كل أحد يقبل هدى الله ورحمته، وإنّما يقبل ذلك، ويتلقاه بالقبول " لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ" أي يخافون منه ويخشونه وأمّا من لم يخف الله ولا المقام بين يديه، فإنه لا يزداد بها إلا عنوا ونفورّا، وتقوم عليه حجة الله فيها[4].

أمّا بالنسبة للقرطبي فتفسيره مشابه إلى حد معين تفسير السعدي، قوله تعالى: "وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ" فقد فسرها على أنّها سكن، وكذلك قرأها معاوية ابن قرة (سكن)

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص68.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص68.

[3] سورة الأعراف، الآية 154.

[4] ينظر: عبد الرحمان بن عبد الله السعدي، تسيير الرحمان في تفسير كلام المنان، ص304.

بالنون، وأصل السكوت هي السكون والإمساك، " أَخَذَ الْأَلْوَاحَ" التي ألقاها " وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ" أي هدى من الضلالة ورحمة أي من العذاب والنسخ ننقل ما في كتاب إلى كتاب آخر"[1].

" لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ" أي يخافون، وفي اللام ثلاثة أقوال قول الكوفيين هي زائدة قال الكسائي: "حدثني من سمع الفرزدق يقول: نقدت لها مئة درهم، بمعنى نقدتها، وقيل: هي لامُ أجل، والمعنى من ذلك: والذين هم من أجل ربّهم يرهبون، وقال:" محمد بن يزيد": هي متعلقة بمصدر ، المعنى : "للذين هم رهبتهم لربهم" وقيل لمّا تقدّم المفعولُ حسن دخول اللام كقوله تعالى في سورة يوسف " إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ"[2]. فلمّا تقدم المعمول وهو المفعول ضعف عمل الفعل، فصار بمنزلة ما لا يتعدى ويخشون عقابه[3].

ومن خلال الآية وتفسيرها نستنتج أنّه لما سكت موسى عن غضبه أخذ الألواح بعد أن ألقاها على الأرض، وفيها بيان للحق ورحمة للذين يخافون الله، ويخشون عقابه.

أمّا بالنسبة لظاهرة التقديم والتأخير، فتظهر من خلال لفظة "هدى"، هنا تأخير المبتدأ هدى عن الخبر المحذوف مكتوب متعلق بشبه الجملة في نسختها"[4].

كما تطرّق أيضا القرطبي إلى ظاهرة التقديم في تفسيره وهي تقديم المفعول أو للمعمول وقد شرحناه سابقا.

---

[1]أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ت. عبد الله بن عبد الحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، ج9، 2006، ص346.

[2]سورة يوسف، الآية 43.

[3]ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص347.

[4]نظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص347.

أمّا بالنسبة للوجه البلاغي أو الأثر البلاغي والجمالي من هذا التقديم أنه ذكر الألواح فلاءم أن يذكر المكتوب فيها لفظاً قبل ذكر معانيه ومقصده تنبيها على أنّ تلك الألواح كانت مكتوبا فيها[1].

قوله تعالى: {وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ }[2]، ولقد ذهب إلى تفسيرها ابن عاشور حيث ذكر في قوله تعالى: " وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ" عطف على قول: " وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا"، فهذا تخصيص لظاهرة العموم الذي في قوله:" واتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ" قصد به الاحتراس لئلا يتوهم أنّ ذلك قد عمله قوم موسى كلهم وللتنبيه على دفع هذا التوهم قدم: " وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ" على متعلقه.

وقوم موسى هم أتباع دينه من قبل بعثة محمد – صلى الله عليه وسلم – فمن بقي متمسكا بدين موسى، بعد بلوغ دعوة الإسلام إليه، فليس من قوم موسى. ولكن يقال هو من بني إسرائيل أو من اليهود، لأنّ الإضافة في «قوم موسى» تؤذن بأنهم متبعو دينه الذي من جملة أصوله ترقب مجيء الرسول الأمي – صلى الله عليه وسلم.–

و«أمة»: جماعة كثيرة متفقة في عمل يجمعها، وقد تقدم ذلك عند قوله تعالى «أمة واحدة» في سورة البقرة. والمراد أنّ منهم في كل زمان قبل الاسلام.

و« يهدون بالحق » أي يهدون الناس من بني إسرائيل أو من غيرهم ببث فضائل الدين الإلهي، وهو الذي سماه الله بالحق ، و يعدلون أي يحكمون حكما لا جور فيه[3].

[1] ينظر: فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي، ص14.

[2] سورة الأعراف، الآية 159.

[3] ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ص141.

ويمكن أن نبرز رأينا من خلال هذه الآية إلى أنّه من بني إسرائيل من قوم موسى جماعة يستقيمون على الحق ويهدون الناس به، ويعدلون في الحكم في قضاياهم.

كأنّ الإتيان بهذه الآية الكريمة فيه نوع من الاحتراز لأنّ الله تعالى ذكر فيه تقدم جملة من معايب بني إسرائيل المنافية للكمال المناقصة للهداية، فربما توهم أنّ هذا يعمهم جميعهم فذكر تعالى أنّ منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية.

أما عن ظاهرة التقديم والتأخير في هذه الآية فتظهر من خلال تقديم الخبر المتعلق بشبه الجملة "من قوم" على المبتدأ أمةٌ[1].

والأثر البلاغي والجمالي لهذه الآية من خلال ظاهرة التقديم والتأخير تكمن في تقديم المجرور في قوله «وبه يعدلون»، للاهتمام به ولرعاية الفاصلة. إذ لا مقتضي لإرادة القصر، بقرينة قوله «يهدون بالحق» حيث لم يقدم المجرور- والمعنى: أنهم يحكمون بالعدل على بصيرة وعلم. وليس بمجرد مصادقة الحق عن جهل، فإنّ القاضي إذا قضى بغير علم كان أحد القاضيين اللذين في النار ولو صادق الحق. لأنه بجهله قد استخف بحقوق الناس ولا تنفعه مصادقة الحق لأن تلك المصادقة لا عمل له فيها"[2].

وتكمن بلاغة هذه الآية وآثرها الجمالي أيضا في التنويه والتنبيه على هذه المجموعة من الصالحين وسط ذلك الزحم والطعام والبقلة.

[1] المصدر نفسه، ص141.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص142.

والآن سننتقل إلى آية جديدة قال الله تعالى: {إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }[1].

وقد فسرها أبي السعود في قوله: " إِنَّ هَٰؤُلَاءِ" يعني به القوم الذين يعبدون تلك التماثيل "مُتَبَّرٌ" أي مدمر مكسر" مَّا هُمْ فِيهِ" أي من الدين الباطل أي يتبر الله تعالى ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم أصنامهم ويتركها رضاضا وإنما جيء بالجملة الإسمية للدلالة على التحقق. "بَاطِلٌ" أي مضمحل بالكلية " مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ" من عبادتها وإن كان قصدهم بذلك التقرب إلى الله تعالى فإنه كفر محض، وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هياه منشورا كما توهم، فإنّ المرّاد به أعمال البر التي عملوها في الجاهلية فإنها في أنفسها حسنات"[2].

ويمكننا أن نبرز ما فسره أبي السعود في قوله، بحيث إنّ هؤلاء المقيمين على هذه الأصنام مهلك ما هم فيه من الشرك، ومدمر وباطل وما كانوا يعملون من عبادتهم لتلك الأصنام، التي لا تدفع عنهم عذاب الله إذا نزل بهم.

وفسرها ابن عاشور { إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ}، بمعنى التعليل لمضمون جملة التي قبله { إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ }[3].

فلذلك فُصِلت عنها وقد أكدت وجُعِلت اسمية لمثل الأغراض التي ذكرت في أختها، وقد عرف المسند إليه بالإشارة لتمييزهم بتلك الحالة التي هم متلبسون بها أكمل تمييز.

[1]سورة الأعراف، الآية 139.

[2]أبو السعود، إرشاد العقل السليم، إلى مزايا القرآن الكريم، ص267.

[3]سورة الأعراف، الآية 138

وشرح المتبر بمدمر و التبار– بفتح التاء – أي الهلاك ويقال تبر الشيء كضرب و تعب و قتل – وتبره تضعيف للتعدية، أي أهلكه والتتبير مستعار هنا لفساد الحال، فيبقى اسم المفعول على حقيقته في أنه وصف للموصوف به في زمن الحال[1].

"كما أشار كذلك إلى أنّه يجوز التتبر مستعار السوء العاقبة، شبه حالهم المزخرف ظاهره بحال الشيء البهيج إلى الدمار والكسر فيكون اسم المفعول مجازا في الاستقبال أي سائر إلى السوء.

و«ما هم فيه» هو حالهم، وهو عبادة الأصنام وما تقتضيه من الضلالات والسيئات ولذلك أُختير في تعريفها طريق الموصولية لأنّ الصلة تحيط بأحوالهم التي لا يحيط بها المتكلم ولا المخاطبون .و "الباطل" اسم لضد الحق فالأخبار به كالأخبار بالمصدر يفيد مبالغة في بطلانه لأن المقام مقام التوبيخ والمبالغة في الانكار[2].

ويمكننا أن نبرز رأينا في هذه النقطة من خلال التفسيرين السابقين على أنّ الآية تحتوي على قوم موسى، لما مروا على عبد الأصنام: {اِجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَة}، وقوله متتبر أي مهلك، أي أنّ هؤلاء عبدة الأصنام يعبدون مالا ينفعهم ولا يضرهم فهم في خسارة.

"أمّا عن ظاهرة التقديم والتأخير في هذه الآية فتظهر من خلال تقديم المسند الذي هو "متبر" على المسند إليه وهو "ماهم فيه"، حيث أنّ الآثر البلاغي والجمالي هنا التخصيص بالمسند إليه أي: هم المعرضون للتّيار وأنّه لا يعدوهم البتة ، ولا يصح أن يجعل "متبرٌ" مسنداً إليه لأنّ المقصود بالإخبار هو "ماهم" [3].

[1]ينظر: إبن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص82.

[2]المصدر نفسه، ص83.

[3]إبن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص83.

فعند تقديمنا للخبر "متبر" عن الاسم الموصول "ما" الواقع مبتدأ، صح القول كذلك بأنّ الأثر الجمالي والبلاغي كذلك في هذا التقديم أنّ موسى عليه السلام في معرض بيان فساد اعتقاد عبدة الأصنام وتسفيه فعلهم فناسب أن يذكر نتيجة فعلهم قبل فعلهم الذي هو عبادة الأصنام فقدم "متبر" لتعجيل المساءة.

"وكذلك لدينا تقديم المسند وهو "باطلُ" على المسند إليه وهو "ماكنوا يعملون" مافي نظيره من قوله "متبر ماهم فيه"[1].

وننتقل الآن إلى مثال آخر في قوله تعالى: {كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ } [2].

"ففي تفسير ابن عاشور–تفسير التحرير والتنوير–القسم الثاني من الجزء الثامن: يقول: (كتاب) مبتدأ ووقع الابتداء بالنكرة إمّا لأنها أُريد بها النوع لا الفرد، وفائدة إرادة النوع الرد على المشركين وإنكارهم أن يكون القرآن من عند الله.

وقوله: (أنزل إليك)، يجوز أن يكون صفة لـ (كتاب)، فيكون مسوغا ثانيا للابتداء بالنكرة ويجوز أن يكون هو الخبر فيجوز أن يكون المقصود من الأخبار تذكير المنكرين والمكابرين ....

ويجوز أن يجعل الخبر هو قوله : (أنزل إليك) ، مع ما انضم إليه من التفريع والتعليل أي هو كتاب أنزل إليك فكن منشرح الصدر به، فإنّه أنزل إليك لتنذر به الكافرين وتذكر المؤمنين ، والمقصود : تسكين نفس النبيء – صلى الله عليه وسلم –، وإغاظة الكافرين.

[1] فخر الدين الوازي، تفسير الفخر الرازي، ص245.

[2] سورة الأعراف، الآية 2.

ومن المفسرين من قدروا مبتدأ محذوفا، وجعلوا (كتاب)، خبرا عنه، أي هذا كتاب، أي أنّ المشار إليه القرآن الحاضر في الذهن، أو المشار إليه السورة أطلق عليها كتاب.

وصيغ فعل : « أنزل » بصيغة النائب عن الفاعل اختصارا، للعلم بفاعل الإنزال، لأنّ الذي ينزل الكتب على الرسل هو الله تعالى، ولما في مادة الإنزال من الإشعار بأنه من الوحي لملائكة العوالم السماوية[1].

"والفاء في قوله: (فلا يكن في صدرك)، اعتراضية إذ الجملة معترضة بين فعل (أنزل) ومتعلقة وهو لتنذر به، فإنّ الاعتراض يكون مقترنا بالفاء كما يكون مقترنا بالواو.

والمعنى أن الله أنزله إليك لا ليكون في صدرك حرج، بل لينشرح صدرك به. ولذلك جاء في نفي الحرج بصيغة نهي الحرج عن أن يحصل في صدر النبي – صلى الله عليه وسلم–

ليكون النهي نهي تكوين، بمعنى تكوين النفي ، عكس أمر التكوين الذي هو بمعنى تكوين الإثبات ....فالتفريع مناسب لمعاني التنكير المفروض في قوله : (كتاب) أي فلا يكن في صدرك حرج منه من جهة ما خبره نزوله إليك من تكذيب قومك وإنكارهم نزوله، فلا يكن في صدرك حرج منه من عظم أمره و جلالته ، ولا يكن في صدرك حرج ،فإنه سبب شرح صدرك بمعانيه وبلاغته.

و(من) ابتدائية، أي حرج ينشأ ويسري من جرّاء المذكور، أي من تكذيب المكذبين به فلما كان التكذيب به من جملة شؤونه، وهو سبب الحرج، صحّ أن يجعل الحرج مسببا عن الكتاب بواسطة. والمعنى على تقدير مضاف أي حرج من انكاره أي إنكار إنزاله من الله.

[1] محمد االطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 10–11–12.

و(لتنذر) ، متعلق به (أنزل) على معنى المفعول لأجله، واقترانه بلام التعليل دون الإتيان بمصدر منصوب لإختلاف فاعل العامل وفاعل الإنذار، وجعل الإنذار به مقدما في التعليل لأنه الغرض الأهم لإبطال ما عليه المشركون من الباطل وما يخلفونه في الناس من العوائد الباطلة التي تعاني إزالتها من الناس بعد إسلامهم.

و (وذكرى) ، يجوز أن يكون معطوفا على (لتنذر به)، باعتبار انسباكه بمصدر فيكون في محل جر، ويجوز أن يكون العطف عطف جملة، ويكون (ذكرى) مصدرا بدلا من فعله والتقدير: وذكر ذكرى للمؤمنين، فيكون في محل نصب فيكون إعتراضا.

وحذف متعلق (تنذر)، وصرح بمتعلق (ذكرى) لظهور تقدير المحذوف من ذكر مقابله المذكور، والتقدير: لتنذر به الكافرين، وصرح بمتعلق الذكرى دون متعلق (تنذر)، تنويها بشأن المؤمنين وتعريضا بتحقير الكافرين تجاه ذكر المؤمنين[2].

ومن خلال تفسير ابن عاشور للآية وما نستخلصه أنها افتتحت بالحروف المقطعة والله أعلم بمراده منها، ثم أخبر الله تعالى أنّ هذا الوحي كتاب أنزل على النبي – صلى الله عليه وسلم – وأنه حق لا شك فيه ولا ريبة ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه و "الحرج" هو الشك من باب تسمية الشيء بمؤداه، فإنّ الشك هو سبب الضيق الذي يحصل في الصدر و "الذكرى" هي التذكير معنى واحد، فأمر الله في هذه الآية تثبت أن يوقن بما أنزل إليك فلا يشك فيه وذلك تثبيتا له وتذكيرا.

"وفي قوله تعالى: "فلا يكن في صدرك حرج" تأخير اسم "يكن" الذي هو حرج عن خبرها المحذوف "كائنا" المتعلق بشبه الجملة "في صدرك" وقد تأخر الاسم عن الخبر

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ص12-13-14.

[2] المصدر نفسه، ص14.

وجوبا لكون الاسم نكرة والخبر محذوفا متعلقا بشبه الجملة"[1]. فالأثر البلاغي يكمن في التخصيص والمناسبة فالتأخير متجه الخطاب بالنهي "فلا يكن"، ومعنى ذلك هو قلب النبي – صلى الله عليه وسلم – فناسب أن يقدم المحل الذي هو الصدر تخصيصا"[2].

وعند انتهائنا من تفسير ابن عاشور لهذه الآية، الآن نتطرق إلى تفسير الكشاف لنفس الآية وهي الآية –2– من سورة الأعراف، قال تعالى:{ المص (1) كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}[3].

نتطرق في تفسيره إلى ما يلي:"(كتاب) خبر مبتدأ محذوف أي: هو كتاب و (أُنزِلَ إِلَيْكَ) صفة له والمراد بالكتاب: السورة (فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ) أي: شك منه.

فإن قلت: بم تعلق قوله: (لتنذر)؟ قلت: بأنزل أي: أنزل إليك لإنذارك به، أو بالنهي لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم، وكذلك إذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الإنذار؛ لأن صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته، فإن قلت: فما محل (ذكرى) قلت: يحتمل الحركات الثلاث: النصب بإضمار فعلها، كأنه قيل: لتنذر به وتذكر تذكيرا لأن الذكرى اسم بمعنى: التذكير، والرفع عطفا على كتاب أو بأنه خبر مبتدأ محذوف، والجر للعطف على محل أن تنذر أي: للإنذار والذكر، فإن قلت: النهي في قوله: (فلا يكن) متوجه إلى الحرج فما وجهه؟ قلت: هو: من قولهم لا أرينك ههنا[4].

والآن نشرع في تفسير الآية 30 من سورة الاعراف.

---

[1] محمد نوري بن محمد بارتجي، الياقوت والمرجان في إعراب القرآن، ص159.

[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص421.

[3] سورة الأعراف، الآية 01

[4] الزمخشري، تفسير الكشاف، ص355.

قال تعالى: {فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}[1].

كما قام أبي السعود بتفصيل هذه الآية إلى عدة عناصر وفسرها حسب رأيه حيث قال: (فَرِيقًا هَدَىٰ) بأن وفقهم للإيمان (وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ) بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده أي وخذل فريقا (إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ) تعليل لخذلانه او تحقيق لضلالتهم (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) فيه دلالة على أنّ الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق أن يحمله على المقصر في النظر[2].

ونرى أنَّ الله سبحانه وتعالى لمّا كذب الكافرين في دعواهم أنّ ما يفعلونه من المنكرات والفواحش إنّما يفعلونه بأمر الله وبين جل وعلا الأمر بالعدل وإقامة الصلاة ودعا إلى الإخلاص وأنا إليه المرجع وبين أنه جعل عباده فريقين: فقسم هداه إلى سراط مستقيم وهو الذي جاءت به الرسل، وقسم استوجبوا الضلال والانحراف باتباعهم الشياطين من دون الله وضنهم أنهم على حق وهداية بذلك وهم في ضلال مبين.

ففي قوله تعالى: {فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} فهنا يوجد تقديم "فريقا" حيث قدم المفعول به على الفعل والفاعل في كلا الجملتين "هدى" حق عليهم الضلالة"[3].

"فالظاهرة هي التخصيص والتنبيه والمدح والذم والمناسبة أما أثره البلاغي أنه في معرض التقسيم ذكر القسمين قبل ذكر صفة كل منهما وما يقع عليه، ومعنى ذلك أنّ الله ينبه القوم

[1] سور الأعراف، الآية 30.

[2] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ص224.

[3] ينظر: محمد نوري بن محمد بارتجي، الياقوت والمرجان في إعراب القرآن، ص161.

الكافرين من الإفتنان بالشيطان واتخاذه إلاها يعبدونه واعتقادهم أنهم على حق ويخصص لهم العبادة له أي الله وحده لا شريك له، وبأنه هو الذي يهدي وفاعل الضلالة ومع ذلك نهاهم من إسنادهم الضلال إليه، بالإضافة إلى مدحه للفريق الذي اتبع هديه أو طريقه وطريق نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – وذم الكفار الذين يحسبون أنفسهم أنهم على هدى، أي يمشون في الطريق المستقيم بضلالهم وإتباعهم طريق الشيطان"[1].

كما فسر لنا محمد الطاهر بن عاشور في الآية –82– من سورة الأعراف : قال تعالى: " وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ(82) "[2].

عطفت جملة " وما كان جواب قومه" على جملة " قال لقومه" والتقدير : و إذ ما كان جواب قومه إلا أن قالوا إلخ، والمعنى أنهم أقحموا عن ترويج شنعتهم والمجادلة في شأنها و ابتدروا بالتآمر على إخراج لوطا – عليه السلام– و أهله من القرية ،لأنّ لوطا – عليه السلام– كان غريبا بينهم وقد أرادوا الاستراحة من إنكاره عليهم شأن من يشعرون بفساد حالهم، الممنوعين بشهواتهم عن الإقلاع عن سيئاتهم، المصممين على مداومة ذنوبهم، فإن صدورهم تضيق عن تحمل الموعظة، وأسمائهم تصم لقبولها، ولم يزل من شأن المنغمسين في الهوى تجهم حلول من لا يشاركهم بينهم[3]

والجواب: الكلام الذي يقابل به كلام آخر: تقريرا، أو ردا، أو جزاء وانتصب قوله «جواب" على أنه خبر (كان) مقدم على اسمها الواقع بعد أداة الاستثناء المفرغ، وهذا هو الاستعمال الفصيح في مثل هذا التركيب، إذ كان أحد معمولي كان مصدرا منسكبا من (أن) والفعل كما

[1] محمد الامين بن محمد الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج2، دت، ص290.

[2] سورة الأعراف الآية 82

[3] الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير ، ص 234

تقدم في سورة آل عمران وسورة الانعام، ولذلك أجمعت القراءات المشهورة على نصب المعمول الأول.

والضمير المنصوب في قوله: «أخرجوهم" عائد على محذوف علم من السياق وهم لوط–عليه السلام– وأهله: وهم زوجه وابنتاه وجملة:" إنهم أناس يتطهرون" علة للأمر بالإخراج وذلك شأن (إنّ) إذا جاءت في مقام لا شك فيه ولا إنكار، بل كانت لمجرد الاهتمام فإنّها تفيد مفاد فاء التفريع وتدل على الربط والتعليل.

والتطهر تكلف الطهارة. وحقيقتها النظافة، وتطلق الطهارة–مجازا–على تزكية النفس و الحذر من الرذائل و هي المراد هنا، و تلك صفة كمال، لكن القوم لما تمردوا على الفسوق كانوا يعدون الكمال منافرا لطباعهم، فلا يطيقون معاشرة أهل الكمال و يذمون مالهم من الكمالات فيسمونها ثقلا، ولذا وصفوا تنزه لوط–عليه السلام–و آله تطهرا بصيغة التكلف و التصنع، و يجوز أن يكون حكاية لما في كلامهم من التهكم بلوط–عليه السلام–وآله، وهذا من قلب الحقائق لأجل مشايعة العوائد الذميمة، وأهل المجون و الانخلاع يسمون المتعفف عن سيرتهم بالتائب أو نحو ذلك ، فقولهم" إنهم أناس يتطهرون" قصدوا به ذمهم.

وهم قد علموا هذا التطهر من خلق لوط–عليه السلام– و أهله لأنهم عاشروهم، ورأوا سيرتهم، و لذلك جيء بالخبر جملة فعلية مضارعيه لدلالتها على أنّ التطهر متكرر منهم ومتجدد، وذلك ادعى لمنافرتهم طباعهم و الغضب عليهم و تجهم إنكار لوط – عليه السلام– عليهم.[1]

[1] الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ص 235.

ومن خلال هذا التفسير نستنتج أنّ قوم لوط عليه السلام لم يجد من جواب حجته عليهم وأمره إياهم باجتناب ما كانوا فيه من الانحراف عن الفطرة فلما أعجزهم الجواب لم يكن منهم إلا أنهم قالوا لبعضهم أخرجوا لوطا وأهله من بينكم لأنهم يتطهرون ويتنزهون عما أنتم فيه.

وفي الآية تقديم لخبر –كان– عن اسمها لكونه اسما واقعا جملة مصدريه بعد أداة الاستثناء إلا " والتقدير ما كان جواب قومه إلا قوله".

فالظاهرة تكمن في " التنبيه" أما أثره البلاغي تبدوا في أنّ أسلوب الحصر قصد به تنبيه على انقطاع حجة القوم فنفى أنهم وجدوا جوابا مقنعا، ثم استثنى قولهم لبعضهم بإخراج آل لوط.[1]

و الآن ننتقل إلى تفسير آية أخرى الآية –59– قال الله تعالى : " لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ،[2] حيث فسرها أبي السعود فقال : (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه) هو جواب قسم محذوف أي والله لقد أرسلنا الخ ،واطراد استعمال هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذي هو معنى قد فإنّ الجملة القسمية إنما تساق لتأكيد الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن الملك بن متوشح بن أخنوخ وهو إدريس النبي عليهما السلام – قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بعث عليه الصلاة و السلام على رأس أربعين سنة من عمره و لبث يدعوا قومه تسعمائة و خمسين سنة و عاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا أربعمائة وخمسين سنة(فقال ياقوم اعبدوا الله) أي اعبدوه وحده و ترك التقييد به للإيذان بأنها العبادة حقيقية و أما العبادة بالإشراك فليست من العبادة في شيء و قوله تعالى «مالكم من إله غيره" أي من

[1] المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ص 340.

[2] سورة الأعراف الآية 59.

مستحق للعبادة استئناف مسوق لتعليل العبادة المذكورة أو الأمر بها وغيره بالرفع صفة لإله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء أو الفاعلية و قرئ بالجر باعتبار لفظه و قرئ بالنصب على الاستثناء و حكم غير حكم الاسم الواقع بعد إلا أي مالكم من إله إلا إياه كقولك ما في الدار من أحد إلا زيدا أو غير زيد فمن إله إن جعل مبتدأ فلكم خبره أو خبره محذوف ولكم للتخصيص و التبيين أي مالكم في الوجود أو في العالم إله غير الله (إني أخاف عليكم) أي إن لم تعبدوه حسبما أمرت به (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة أو يوم الطوفان و الجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها إثر تعليلها ببيان الداعي إليها ووصف اليوم لبيان عظم ما يقع فيه و تكميل الإنذار"[1]

ونرى أنَّه ليس هناك إله سيتحقق الإلهة أو القدس إلا الله جل وعلا فهو الخالق الرازق المالك المتصرف المستحق للعبادة، باستغنائه عن كل ما سواه وافتقار جميع ما سواه إليه.

" وفي الآية تأخير اسم" ما" العاملة عمل " ليس" وهو " غيره " جوازا عن خبرها المحذوف المتعلق بالجار و المجرور " من إله " (شبه جمله)[2]

أمّا أثره البلاغي فهو إفادة التخصيص و التبيين و الإثبات (التوكيد) و فائدته هنا نفي استحقاق العبادة عن كل إله ثم إثباتها لله ﷻ بلفظة "غيره" المقتضي القصر و الحصر و النفي يسبق الإثبات أي تخصيص و تبيين بأنّ المستحق للعبادة هو الله .[3]

[1] أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ص 235

[2] محمد الطيب الإبراهيم ، إعراب القرآن الكريم الميسر ، بيروت، 2001 ص 157

[3] أبو حفص عمر بن علي ابن عادل ، اللباب في علوم الكتاب ، عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد المعوض ، ط1،بيروت(لبنان)،1998 ،ص174.

وعند الانتهاء من تفسير أبي السعود الآن ننتقل إلى مفسر آخر وهو أبوبكر القرطبي حيث فسر لنا الآية–130–من سورة الأعراف .قال تعالى: (فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[1]

قال في تفسيره فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى (فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ) أي الخصب و السعة (قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِ) أي أعطيناها باستحقاق (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) أي :قحط و مرض . الثانية : (يطيروا بموسى) أي : يتشاءموا به .نظيره : (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِكَ)[2] و الأصل (يتطيروا) أدغمت التاء في الطاء وقرأ طلحة : (تطيروا) على أنه فعل ماضي والأصل في هذا من الطيرة و زجر الطير، ثم كثر استعمالهم حتى قيل لكل من تشاءم :تطير .

و كانت العرب تتيمن بالسانح : وهو الذي يأتي من ناحية اليمين، و تتشاءم بالبارح: و هو الذي يأتي من ناحية الشمال وكانوا يتطيرون أيضا بصوت الغراب و يتأولونه البين. و كانوا يستدلون بمجاوبات الطيور بعضها بعضا على أمور، و بأصواتها في غير أوقاتها المعهودة على مثل ذلك. وهكذا الظباء إذا مضت سانحة أو بارحة، و يقولون إذا برحت من لي بالسانح بعد البارح. إلا أنّ أقوى ما عندهم كان يقع في جميع الطير فسموا الجميع تطيرا من هذا الوجه[3].

وتطير الأعاجم إذا رأوا صبيا يذهب به إلى المعلم بالغداة ويتيمنون برؤية صبي يرجع من عند المعلم إلى بيته، ويتشاءمون برؤية السقاء على ظهره قربة مملوءة مشدودة، ويتيمنون

[1] سورة الأعراف ، الآية 130.

[2] سورة النساء ، الآية 78.

[3] أبوبكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص304–305.

برؤيته، فارغ السقاء مفتوحة قربته ويتشاءمون بالحمال المثقل بالحمل، والدابة الموقرة، ويتيمنون بالحمال الذي وضع حمله، وبالدابة يحط عنها ثقلها.

فجاء الإسلام بالنهي عن التطير والتشاؤم بما يسمع من صوت طائر ما كان وعلى أي حال كان، فقال عليه الصلاة والسلام: (أقروا الطير على مكناتها).

وذلك أن كثيرا من أهل الجاهلية كان إذا أراد الحاجة، أتى الطير في وكرها فنفرها، فإذا أخذت ذات اليمين مضى لحاجته، وهذا هو السانح عندهم وإذا أخذت ذات الشمال رجع، وهذا هو البارح عندهم.

(أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ) و قرأ الحسن : (طيرهم) جمع طائر ، أي : ما قدر لهم و عليهم (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أنّ مالحقهم من القحط و الشدائد إنّما هو من عند الله عزوجل بذنوبهم لا من عند موسى وقومه.[1]

ونرى أنَّه إذا أصابت فرعون وقومه نعمة من خصب وزرع وضرع قالوا هذه النعمة جاءت بسببنا ولأجلنا مختصة بنا، كذبوا وظلوا ظلالا بعيدا.

وفي الآية تقديم للخبر المحذوف المتعلق بشبه الجملة "لنا" على اسم الإشارة الواقع مبتدأ "هذه" جوازا في جملة المقول القول "لنا هذه" الواقعة مفعول به.

أما أثره البلاغي فيها دلالتها على الاختصاص و الإستئتار.[2]

[1] أبوبكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 305–306 –308.

[2] الزمخشري، الكشاف ، ص 493.

و الآن نشرع في تفسير الآية 84 قال تعالى : (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ) [1] فقد فسرها محمد الطاهر بن عاشور فقال : الإمطار مشتق من المطر و المطر اسم للماء النازل من السحاب ، يقال : مطرتهم السماء –بدون همزة –بمعنى نزل عليهم المطر، كما يقال : غاثتهم ووبلتهم ، و يقال : مكان ممطور أي أصابه المطر ، ولا يقال ممطر، ويقال أمطروا –بالهمزة– بمعنى نزل عليهم من الجو ما يشبه المطر ، و ليس هو بمطر ، فلا يقال : هم ممطرون ، و لكن يقال : هم ممطرون ، كما قال الله تعالى : (و أمطرنا عليهم حجارة من سجيل –وقال–فأمطر علينا حجارة من السماء) كما قال الزمخشري–هنا– و قال ، في سورة الأنفال : قد كثر الإمطار في معنى العذاب–و أما قوله تعالى في سورة الأحقاف (قالُوا هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا) فهو يعكر على كلتا التفرقتين ، و يعين أن تكون التفرقة أغلبية .

و كان الذي أصاب قوم لوط حجرا و كبريتا من أعلى القرى كما في التوراة و كان الدخان يظهر في الأرض مثل دخان الأتون، وقد ظن بعض الباحثين أن آبار الحمر التي ورد في التوراة أنها كانت في عمق السديم ، كانت قابلة للالتهاب بسبب زلازل أو سقوط صواعق عليها .وقد ذكر في آية أخرى في القرآن : أنّ الله جعل عالي تلك القرى سافلا و ذلك هو الخسف من آثار الزلازل . و من المستغرب أن يكون البحر الميت هنالك قد طغى على هذه الآبار أو البراكين من آثار الزلازل.

و تنكير (مطرا) للتعظيم و التعجيب أي : مطرا عجيبا من شأنه أن يهلك القرى .[2]

[1] سورة الأعراف ، الآية 84 .

[2] الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ص237–238.

و تفرع عن هذه القصة العجيبة الأمر بالنظر في عاقبتهم بقوله : (فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ) فالأمر للإرشاد و الإعتبار . و الخطاب يجوز أن يكون لغير معين بل لكل من يتأتى منه الإعتبار كما هو شأن إيراد التذييل باعتبار عقب الموعظة، لأنّ المقصود بالخطاب كل من قصد بالموعظة، ويجوز أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم تسلية له على ما يلاقيه من قومه الذين كذبوا بأنه لاييأس من نصر الله، و أنّ شأن الرسل إنتظار العواقب.

والمجرمون فاعلوا الجريمة، وهي المعصية و السيئة، وهذا ظاهر في أنّ الله عاقبهم بذلك العقاب على هذه الفاحشة، و أنّ لوط – عليه السلام– أرسل لهم لنهيهم عنها، لا لأنهم مشركون بالله إذ لم يتعرض له في القرآن بخلاف ما قصّ عن الأمم الأخرى لكن تمالثهم على فعل الفاحشة و استحلالهم إياها يدل على أنهم لم يكونوا مؤمنين بالله، وبذلك يؤذن قوله تعالى في سورة التحريم:" ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح و امرأة لوط" فيكون إرسال لوط – عليه السلام– بإنكار تلك الفاحشة ابتداءا بتطهير نفوسهم، ثم يصف لهم الإيمان إذ لا شك أنّ لوطا – عليه السلام – بلغهم الرسالة عن الله تعالى: وذلك يتضمن أنه دعاهم إلى الإيمان، إلا أنّ اهتمامه الأول كان بإبطال هذه الفاحشة، و لذلك وقع الاقتصار في إنكاره عليهم و مجادلتهم إياه على ما يخص تلك الفاحشة ، و قد علم أنّ الله أصابهم بالعذاب عقوبة على تلك الفاحشة كما قال في سورة العنكبوت: " إنّا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون" و أنهم لو أقلعوا عنها لترك عذابهم على الكفر إلى يوم آخر أو إلى اليوم الآخر.[1]

[1] الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ص 238–239.

ونرى أنَّ فيها إرشاد للنّبي صلى الله عليه وسلم– ومن ورائه أمته إلى التفكر بالنّظر في مصارع الطغاة و عافية الظالمين من الأمم الذين جحدوا بآيات ربهم و عصوا رسله .

وفي الآية تقديم لخبر " كان" عن كان و اسمها" كيف " و "عاقبة" لأنه جاء اسم استفهام (كيف) واسم الاستفهام له الصدارة في الكلام دائما، فالظاهرة تكمن في التعظيم و التعجب و المناسبة فأثره البلاغي في هذا التقديم أنّ الله لمّا أمر نبيه بالنظر في مصير تلك الأمم وجهه إلى التفكير في الكيفيات التي أخذهم الله بها لمعرفة قدرة الله و عظمته، فناسب أن يذكر اسم الاستفهام "كيف" مباشرة بعد الأمر بالنظر "انظر" [1]و عند الانتهاء من هذا العنصر ننتقل إلى آية أخرى و مفسر آخر الآية 61 قال تعالى : (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) [2]حيث فسرها أبي السعود : (قَالَ) استئناف كما سبق (يَا قَوْمِ) ناداهم بإضافتهم إليه استمالة لقلوبهم نحو الحق (لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ) أي شيء ما من الضلال قصد عليه الصلاة والسلام تحقيق الحق في نفي الضلال عن نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا في إثباته له عليه الصلاة و السلام حيث جعلوه مستقرا في الضلال الواضح كونه ضلالا و قوله تعالى (وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في أقصى مراتب الهداية فإنّ رسالة رب العالمين مستلزمه .[3]

ويمكننا القول أنه ليس بي عمى عن الحق و لا انحراف عن القصد و ليس ما جئت به إلا للهدى و الصواب ، و في الآية تأخير اسم ليس "ضلالة" عن خبرها شبه جملة " بي" وجوبا أي خبرها محذوف متعلق بالجار و المجرور فالظاهرة تتمثل في النص على عموم السلب و المناسبة أما أثره البلاغي و الجمالي هذا التأخير يكمن في أنهم لما اتهموا رسول

[1] الزمخشري ، الكشاف ، ص 465 .

[2] سورة الأعراف ، الآية 61 .

[3] أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ص 235.

الله بالضلالة في نفسه ناسب أن يذكر نفسه بعد أداة النفي مباشرة لأنه المقصود بالتهمة و القاصد لنفيها عنه ، أي نفى الرسول صلى الله عليه و سلم و أن تلتبس به ضلالة واحدة بمعنى ليس فيه نوع من أنواع الضلال ، فكان هذا أبلغ عموم السلب .

كما قام أبي السعود بتفسير الآية–141– قال تعالى : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاَءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ) [1]فقال في تفسيره للآية : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم) تذكير لهم من جهته سبحانه بنعمة الإنجاء من ملكة فرعون و قرئ نجيناكم من التنجية و قرى أنجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى عليه الصلاة و السلام أي و اذكروا وقت إنجاءنا إياكم (من آل فرعون) من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من أيديهم و هم على حالهم في المكنة و القدرة بل بإهلاكهم بالكلية و قوله تعالى :

(يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) من سامه خسفا أي أولاه إياه أو كلفه إياه و هو إما استئناف لبيان ما أنجاهم منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما معا لاشتماله على ضمير بهما و قوله تعالى (يقتلون أبناءكم و يستحيون نساءكم) بدل من يسومونكم مبين أو مفسر له (وَفِي ذَلِكُمْ) الإنجاء أو سوء العذاب (بَلاَءٌ) أي نعمة أو محنة (مِّن رَّبِّكُمْ) من مالك أمركم فإنّ النعمة و النقمة كلتاهما منه سبحانه و تعالى (عظِيمٌ) لا يقادر قدره .[2]

نرى أنه لما ذكر موسى لقومه نعمة الله عليهم بالتفضيل ذكرهم بما كان واقعا عليهم من قتل أبنائهم و استحياء نسائهم ، ختم كلامه بتقريرهم أنّ ذلك كان بلاء عظيما لمتن الله عليهم برفعه عنهم ، ثم يبغون أن يعيدوا مالا يضرهم ولا ينفعهم .

[1]سورة الأعراف ، الآية 141 .

[2]أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ص268.

و في الآية تقديم للخبر المحذوف المتعلق بشبه الجملة "فِي ذَلِكُمْ " على مبتدئها "بلاء" وجوبا .

أما أثره البلاغي و الجمالي فهو التنبيه و المناسبة فلما عدد عليهم ما كانوا فيه من أنواع العذاب أشار إلى ذلك جملة بقوله " فِي ذَلِكُمْ" تنبيها لهم ، فناسب أن تتقدم على المبتدأ ليتصل الكلام .[1]

وفي تفسير ابن عاشور للآية –197– قال تعالى " و الذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم و لا أنفسهم ينصرون"–197–[2]

يقول :(والذين تدعون) أي تعبدونهم (من دونه) تعالى أو تدعونهم للاستعانة بهم على حسب ما أمركم به (لا يستطيعون نصركم) أي في أمر من الأمور أو في خصوص الأمر المذكور (ولا أنفسهم ينصرون) إذ نابتهم نائبة[3].

ويمكننا القول أنهم لا يقدرون هؤلاء الأصنام على نصرة معبوديهم و لا يستطيعون جلب نفع لهم و لا دفع سراء عنهم بل لا يستطيعون ذلك لأنفسهم، فكيف يستحق العبادة و تحنو له الوجوه من يحتاج إلى معبوده ليدفع عنه ما كان معبوده يرجو ليدفعه عنه.

وفي الآية تقديم للمفعول به (أنفسهم) على الفعل والفاعل ينصرون.

[1] محمد الأمين الجكني الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ص 390.

[2] سورة الأعراف الآية 197

[3] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ص 307.

الظاهرة تدور حول تعجيل المساءة أما أثره البلاغي و الجمالي " أفاد تعجيل المساءة و التيئيس"[1]

فإنّ الله جل في علاه لما عاب للآلهة الكفار بأنّها لا تملك لمعبوديها نصرا، زادها مهانة وذلة بأنها لا تملك ذلك لأنفسها، وعجل مساءة عبدتها بتقديم المفعول «أنفسهم".

وفي ختامنا لهذا الفصل نستنتج بأنّ التقديم والتأخير يمثلان أهم الخصائص اللغة العربية، حيث يدلان على مرونتها واتساعها، حيث كانت دراستنا التطبيقية لسورة الأعراف ميدانا وأرض خصبة، تجسدت فيها معالم موضوع مذكرتنا، وكانت عونا لنا لاكتساب نظرة شاملة عن خاصية التقديم والتأخير بلاغيا.

حيث أنّ التقديم والتأخير من ضروب البلاغة، فوروده في الكلام ليس اعتباطيا وإنما يخرج لأغراض معينة، أراد المتكلم منه الاهتمام بالمقدم، فخروج الجملة عن ترتيبها الأصلي إنما يخرج لطريق أبلغ وأكد في الاستعمال وهذا ما حاولنا دراسته في هذا الفصل من خلال دراستنا لآيات من القرآن الكريم.

[1] الزمخشري ، الكشاف، ص 544.

خاتمـــــــة

الخاتمة:

الحمد لله الذي وفقنا في هذا البحث المتواضع، المعنون بالتقديم والتأخير وأثره البلاغي والجمالي في سورة الأعراف فمن خلال دراستنا لهذه المذكرة توصلنا إلى النتائج التالية:

1. تأثير ظاهرة التقديم والتأخير على المستوى التركيبي للجملة والكلام.
2. التقديم والتأخير في النحو هو الالتزام بترتيب الألفاظ للحفاظ على المعنى الأصلي أما في البلاغة هو الخروج عن هذا النمط، أي الخروج عن المعنى الأصلي إلى معان أخرى، وهذا التغيير في مواضع الكلمات يضفي إلى دلالة طبيعية جمالية وهي التي لم نجدها في الجانب النحوي للتقديم والتأخير.
3. إنّ دراسة هذا الفن والسر والإلمام بكل ما يحويه من قواعد وحقائق من أقوى الوسائل الموصلة لمعرفة الإعجاز في القرآن الكريم.
4. التقديم والتأخير على السياق فكلما تغيّر هذا الأخير تغيرت الدلالة.
5. التقديم والتأخير موضوع اهتم بدراسته علم المعاني.
6. إن الأغراض البلاغية لظاهرة التقديم والتأخير الموجودة في كتاب السكاكي كالتالي: التخصيص–الترتيب– التعظيم–العناية والاهتمام...الخ.
7. إنّ التقديم والتأخير هو من ضروب البلاغة فوروده في الكلام ليس اعتباطا وإنما يخرج بأغراض معينة، أراد المتكلم منه الاهتمام بالمقدم، فخروج الجملة عن ترتيبها الأصلي في العربية إنما يخرج لطريق أبلغ في الاستعمال.
8. لقد كانت الدراسة التطبيقية لسورة الأعراف ميدانا وأرضا خصبة تجسدت فيها معالم موضوع مذكرتنا كانت عونا لنا لاكتساب نظرة شاملة عن خاصية التقديم والتأخير نحويا وبلاغيا.

التوصيات:

- مراعاة التفسير القرآني في دراسة التقديم والتأخير في النحو.
- الاعتماد في النصوص القرآنية للتفسير.
- الحرص على التمييز في مواقف التقديم والتأخير في الجملة الفعلية والإسمية بأنواعها.

وختاما نرجو أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا، غير أننا لن ندعي الإلمام والإحاطة بكل الجوانب المتعلقة به، ويبقى المجال مفتوحا والأفق فيه واسعا لمن أراد التغلغل في حيثيات هذا الموضوع المتشعبة والمتداخلة فيما بينها، فإن كنا أصبنا فهو من توفيق من الله سبحانه وتعالى وله الحمد والشكر، وإن كنا أخطأنا فمن قلة بضاعتنا وقصور الإنسان، فجل من لا يخطئ ونسأل الله أن ينفعنا بهذا العمل وينفع من بعدنا به.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

المصادر:

1. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1976.
2. أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ط4، 1952.
3. ابو القاسم الزجاجي، الايضاح في علل النحو، تحقيق مازة مبارك، د.م، دار النفائس.
4. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، لبنان ط03، 2009.
5. أبو بشر عمرو عثمان قنبر الملقب بسيبويه، كتاب الكتاب تحقيق محمد كاظم البكاء، زيت الحقوقية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، القسم الأول، الجزء الأول، ط1، المجلد 1، 2015.
6. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي، مستصغى من علم الأصول دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 1993.
7. أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، مجلد 01، ط1، 2008.
8. أبو سعيد السيرافي، أخبار النحويين البهريين، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، د.م، دار الاعتصام، ط1.
9. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ت. عبد الله بن عبد الحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، ج9، 2006.
10. أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله العقار بن محمد بن سليمان بن أب الفارسي، النحوي الإيضاح العضدي، تحقيق دكتور كاظم بحر المرجان، عالم الكتب للطباع، بيروت، لبنان، ط2، 1996.
11. أبو محمد بن عبد الله بن المقفع، الأدب الصغير، قرأه وعلق عليه وائل بن حافظ بن خلف، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الإسكندرية ج1، 2011.
12. أبوبكر الباقلاني البصري، إعجاز القرآن، ت: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997.
13. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن ت. أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

14. جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، الاتقان في علوم القرآن، دار عالم الكتب للنشر، بيروت، ط1، ج1 1974.

15. الخطابي، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، ط3.

16. الزمخشري، أساس البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت:2005.

17. عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 10 ،2002م.

18. عبد القاهر الجرجاني للمقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر والتوزيع، العراق، المجلد 1، 1982.

19. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، دار المعرفة، بيروت، ط2.

20. محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، ج3، 1981.

21. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

22. محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية ط1، ج1.

23. يوسف بنو أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

المراجع:

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، ج1.
2. أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2.
3. المستشرق الألماني بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، مصر، دار المعارف.
4. سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق دكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2014.
5. طاهر سليمان حمودة، جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط1.

6. أبو حفص عمر بن علي إبن عادل، اللباب في علوم الكتاب تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد المعوضّ، ط1، بيروت، لبنان، 1998.
7. أحمد أمبتي، ضحى الإسلام، د–م، ط7، ج2.
8. أحمد بن فارس الصاحبي، في فقه اللغة، تحقيق: أحمد صقر، دمشق، د – ط.
9. أحمد سيد محمد عمار، نظرية الإعجاز القرآني وأثارها في النقد العربي القديم، دار الفكر للمعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
10. أحمد شامية، خصائص العربية والإعجاز القرآني في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية، ديوان المطبوعات الجامعية،1955.
11. أحمد محمد مختار، عّلم الدلالة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1988.
12. بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، د–ط ، 1992.
13. بن عيسى با طاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
14. بهجت عبد الواحد شيخي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز اعرابا وتفسيرا بإيجاز، ط1، عمان.
15. حاتم الضامن، نظرية النظم تطور وتريخ، مطبعة دار الحرية، بغداد، 1979.
16. سلمان منير، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط3، 1986.
17. عبد الرزاق حسين احمد، المكي والمدني في القرآن الكريم، دار ابن عفان للنشر، القاهرة، ط1، مجلد1، 1999.
18. عبد الله الخثران، مراحل تطور الدّرس النحوي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د – ط.
19. عبد الله جاد كريم، الدرس النحوي في القرن العشرين مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2004.
20. علي بن تقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال طبعه وفسره غريبة الشيخ بكري حياتي، صححه ووضع فهارسه ومفاتحه الشيخ صفوت السقا، حلب، مكتبة التراث الإسلامي، ط1، ج1.
21. فضل حسين عباس، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط5، 2004.
22. محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، طرابلس، لبنان، 2003.
23. محمد الأمين بن محمد الحنبكي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج2.

24. محمد الطيب الإبراهيم، إعراب القرآن الكريم الميسر، بيروت، 2001.
25. منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العربي للنشر والتوزيع، دمشق، 2001.
26. يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني، علم البيان، علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

البسملة

دعاء

شكر وعرفان

اهداءات

مقدمة .....أ-د

مدخل 2-17

الفصل الأول: التقديم والتأخير

المبحث الأول: التقديم والتأخير عند النحويين.....20-30

1-تعريف التقديم والتأخير.....20

أ- لغة.....20

ب-اصطلاحا.....21

2 -التقديم والتأخير عند سيبويه.....22-25

3-التقديم والتأخير عند أبي علي الفارسي.....26-30

المبحث الثاني: التقديم والتأخير عند البلاغيين.....32-41

1- التقديم والتأخير عند الجرجاني.....32-36

2- التقديم والتأخير عند السكاكي.....36-41

المبحث الثالث: نظرية النظم.....43-52

1- منابع فكرة النظم.....43

2- النظم عند الجرجاني.....43-52

الفصل الثاني: جماليات التقديم والتأخير البلاغية في القرآن الكريم – سورة الأعراف أنموذجا-.....54-87

1- الخطاب المكي والخطاب المدني.....55-58
2- التعريف بالسورة وعدد آياتها.....58-60
3- التقديم والتأخير في سورة الأعراف وآثره البلاغي والجمالي.....60-91
خاتمة.....93-94
قائمة المصادر والمراجع.....96-99
فهرس الموضوعات 101-102
الملخص.....104

الملـــخص

الملخص

تهدف هذه المذكرة المعنونة بـ" التقديم والتأخير وآثره البلاغي و الجمالي في القرآن الكريم – سورة الأعراف أنموذجا – إلى إبراز أثر التقديم و التأخير في إظهار جماليات النصوص و زيادة وضوح المعنى و تقريبه للمتلقي، و كذا تحقيق معاني ودلالات جديدة كونه يعكس القدرة التعبيرية لدى المتحدث، و كيفية صياغته للتراكيب بحسب اختلاف معناها في النفس، لذا فقد نال التقديم و التأخير عناية كبيرة من النحويين و البلاغيين أمثال سيولة والجرجاني والسكاكي، أبي علي الفارسي، وكان له أثر بالغ الأهمية والوضوح في النصوص القرآنية، لما يلعبه من دور في زيادة بلاغة القرآن و فصاحته، وإبراز مختلف الدلالات والجماليات متمثلة في: التخصيص والتبني والمناسبة والاهتمام والتعظيم .

الكلمات المفتاحية: التقديم والتأخير، الأثر البلاغي، الأثر الجمالي، نظرية النظم، سورة الأعراف، التقديم والتأخير عند النحويين، التقديم والتأخير عند البلاغيين.

Summary:

This Graduation Note titled: the Anastrophe and its rhetorical and aesthetical effect in the Holy Quran, Surat Al-A'araf, as sample, aims to highlight the effect of Anastrophe in presenting the beauties of the texts and their significances and making the meaning clearer and closer to the receiver. Also, to realize new meanings and significances which reflects the ability of the expression on the speaker and the way of reformulation according to difference of the meaning on the person. So, the Anastrophe has got a significant care by grammarians and rhetoricians such as SIBAOUIH, EI DJERDJANI, ESSAKKAKI, ABI ALI ELFARISSI…etc it has got also, a significant effect and clarity in the texts of the Holy Quran. Due to its role the increase of rhetoric and eloquence of the Holy Quran and show different Significances and Aesthetics represented in: specialization, paying attention, the occasion, interest, exaltation.

Key Words: Anastrophe, the rhetorical effect, aesthetical effect, the theory of systems, Sourat El Aaraf, the Anastrophe at the grammarians, Anastrophe at the rhetoricians.